

ابحاث في تاريخ الشرق الادنى القديم

د. اسامة عدنان يحيى

ابحاث في تاريخ الشرق الادنى القديم

الطبعة الاولى٢٠١٤

العراق-بغداد
البريد الالكتروني:ashurbanipal668@yahoo.com

ابحاث في تاريخ الشرق الادنى القديم/(الكتاب في اصله اربعة بحوث منشورة للمؤلف في مجلات متخصصة)

تأليف: د. اسامة عدنان يحيى

Research in the history of the ancient Near East/(The book is originally published four research of the author in specialized journals)

By: Dr. Usama Adnan Yahiya

The first Printing in 2014

Iraq-Baghdad
E-mail: ashurbanipal668@yahoo.com

ابحاث في تاريخ الشرق الادنى القديم

د. اسامة عدنان يحيى

استاذ التاريخ القديم المساعد

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الفصل الاول

بلاد أشور في عصر فجر السلالات[1]

[1] البحث منشور في مجلة الدراسات التاريخية/كلية التربية الاساسية/الجامعة المستنصرية/العدد:٨/لسنة:٢٠١٠.

يجد الدارس لحضارة وادي الرافدين صعوبة الفصل بين التاريخ الأشوري والتاريخ العام لهذه الحضارة، نظرا للتماثل الكبير بين مختلف المظاهر الحضارية لهذا البلد. لكن دراسة الحقبة المبكرة في تاريخ أشور تشكل ضرورة ملحة من اجل استيعاب الأصول الأولى للحضارة الأشورية، والتي تتسم بالصعوبة البالغة في متابعتها، إذ إن دراسة هذه الحقبة تصطدم بعقبات كبيرة، فعلى العكس من الجنوب الذي وصلنا منه كتابات غزيرة سواء نصوص تاريخية(قوائم ملوك، كتابات ملكية، نصوص نذرية)،أو نصوص أدبية(أساطير، ملاحم، مراثي، أدب مدرسي)،أو نصوص قانونية (عقود اقتصادية، عقود زواج، قوائم جرايات، نصوص إصلاحات)،أو نصوص دينية(تراتيل، أدعية، قوائم بأسماء الآلهة) التي تقدم مادة غنية ومهمة للباحث في العصور المبكرة لبلاد سومر، ولكن في بلاد أشور فان الأمر مختلف، ففي العصور المبكرة، لاسيما في عصر فجر السلالات (Early Dynastic Period)،فإننا لا نمتلك أي وثائق من اجل بناء تصور واضح حتى لو كان جزئيا عن بلاد أشور، وقد أشير إلى هذه الحالة من قبل المنقب الألماني فالتر اندريه (Walter Andréa) انه في أشور نعاني: "من غياب كامل للنصوص الكتابية"[٢].لذا فان اعتمادنا الكلي في كتابة تاريخ أشور في هذا العصر سيعتمد بالدرجة الأساس على المادة الاثارية المتوفرة والتي كشفت عنها التنقيبات الاثارية، ومن ثم الإشارات القليلة التي وردتنا من وثائقنا في الجنوب أي بلاد سومر.

يسمى هذا العصر في بلاد أشور بعصر الطبقة (G-H)[٣]،وان معرفتنا عن هذا العصر ،من الناحيتين السياسية والحضارية ناقصة، وغامضة، لاسيما

٢) فالتر اندريه،معابد عشتار القديمة في أشور،ترجمة:عبد الرزاق كامل الحسن،(بغداد:المؤسسة العامة للآثار والتراث،١٩٨٦)،ص٢٧.

٣) لقد أطلق عليها المنقب الألماني اندريه هذه التسمية.

في الطورين الأول والثاني من عصر فجر السلالات(٤)،إلا انه في الطور الثالث من هذا العصر أخذت تصلنا بعض المعلومات عن هذه المنطقة(٥).ويؤرخ المنقب اندريه عصر الطبقتين (G-H) بفترة زمنية ترقى إلى الألف الرابع-الثالث قبل الميلاد(٦).هذا ويعد اندريه إن شعب الطبقة (G) معاصرين لسلالة لكش(Lagaš) الأولى أي في عصر فجر السلالات الثالث(٧).لذا لابد من تخفيض تواريخ اندريه وربما كان عصر الطبقة (H)في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.

لا نعرف شيء عن التنظيم السياسي لبلاد أشور خلال هذا العصر، ويعتقد احد الباحثين انه على الرغم من ورود إشارات عن شمال بلاد الرافدين لكنها لم تذكر الأشوريين، مما يؤكد على أنهم لم يؤسسوا بعد كيان سياسي لهم(٨).ونمتلك إشارة في كتابة لـ (اياناتوم) (Eanatum) حاكم من سلالة لكش الأولى انه واجه حلفا عسكريا أقيم بين عيلام(Elam) وبلاد سوبار(Subar) ومدينة أورو- أ (Uru-a)وانه انتصر عليهم أو كما يقول اياناتوم:

elam Subar^{ki} Uru-a^{ki} a-Šhur-ta tum-Šè bi-Šè

---

٤) أول من أطلق على هذا العصر تسمية عصر فجر السلالات هو العالم الهولندي هنري فرانكفورت بعد التنقيبات التي أجراها في منطقة ديالى، ويقسم هذا العصر إلى ثلاثة حقب زمنية هي:

١.عصر فجر السلالات الأول (٢٨٠٠-٢٧٠٠ قبل الميلاد).

٢. عصر فجر السلالات الثاني(٢٧٠٠-٢٥٥٠ قبل الميلاد).

٣. عصر فجر السلالات الثالث(٢٥٥٠-٢٣٧١ قبل الميلاد).

للمزيد من التفاصيل عن هذا العصر وتطوراته السياسية والحضارية انظر:طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٩)،ج١،ص٢٧٩-٣٨١.

٥) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣١٢.

٦) المصدر نفسه،ص٢٥.

٧) المصدر نفسه،ص٢٨.

٨) زياد عويد سويدان المحمداوي،التطورات السياسية في بلاد الرافدين:العهد الأشوري الوسيط،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٣)،ص٢٥.

أي: "عيلام (و) سوبار (و) أورو- أ، وذلك ابتداءً من قناة اشخور، بالسلاح قد ضربها"[٩].

إن الذي يهمنا في النص هو اشتراك سوبار في الحلف، وهو الاسم المرادف لبلاد أشور، ومن الجدير بالملاحظة إن اياناتوم يذكر سوبار، وبعدها اللاحقة (Ki) والمعروف إن هذه اللاحقة تتبع أسماء المدن والمناطق[١٠]،الأمر الذي يشير إن الاسم سوبار ذا دلالة جغرافية وليس قومية. وان هذا النص يشير إلى مسألتين مهمتين وهما:

-المسألة الاولى: اشتراك سوبار(Subar) في حلف عسكري مما يشير إلى امتلاكها قوة عسكرية معدة للحرب.

-المسألة الثانية هي إنها أقامت علاقات سياسية مبكرة مع المناطق المجاورة.

لكن ذلك الاستنتاج يصطدم بشكل مؤكد مع نتائج التنقيبات الاثارية، فقد أشار اندريه إن سكان أشور خلال عصر الطبقتين(G-H) كانوا على ما يبدو مسالمين، إذ لم تكشف التنقيبات عن أية تركة حربية لهم، فصحيح إن هيكل الآلهة ليس المحل المناسب لكي يزين بالأسلحة، لكن لابد من وجود اثر ما في موضع ما من المدينة لتلك الأدوات، كذلك لم يبق شيء من التحصينات الأشورية لتلك الفترة السحيقة، ويرى هذا المنقب انه يجب أن ننسب القبور القديمة التي حرص السكان على أن يدفنوا فيها مع الرجال أسلحة برونزية، إلى ادوار أشورية لاحقة، ربما منتصف أو نهاية الألف الثالث قبل الميلاد(لابد من التذكير هنا إن تواريخ اندريه مرتفعة) بسبب ما تحويه من الأواني

---

٩) فوزي رشيد،ترجمات لنصوص سومرية ملكية،(بغداد:بلا.مط،١٩٨٥)،نص رقم:٥،العمود:٦،الأسطر:١٧-١٩.

10) MDA,P.22.

كذلك:فوزي رشيد،قواعد اللغة السومرية،(بغداد:مديرية الثقافة العامة،١٩٧٢)،ص٢٣.

الفخارية[11].لذا يفترض اندريه إن بلاد أشور خلال هذه الفترة لابد إنها عاشت تحت حماية قوية، ولم تكن هذه الحماية إلا من الجنوب، بل يذهب اندريه إلى ما هو أكثر، ويقول انه ربما كان شعب الطبقة (G)أصلا من السومريين (يسميهم اندريه بابليين نسبة لبلاد بابل)،أي إن بلاد أشور كانت خاضعة سياسيا إلى إحدى الدويلات الجنوبية، ويستند اندريه في رأيه هذا إلى عدة أسباب وهي:

١.تشييد سكان أشور في هذا العصر معبدهم حسب الخطة الجنوبية.

٢.الاختلافات الملفتة للأنظار التي تظهر في رؤوس التماثيل، والتي افترض سابقا ماير (Meyer) وجود عرقين من البشر متعايشين جنبا إلى جنب. وهذه المسألة تتعلق بالرجال فقط، حيث يبدو بعضهم حليقي الرؤوس فضلا عن اللحية، وهذا نشاهده أيضا في الجنوب لاسيما في بسمايا، وتلو، بينما يظهر رجال آخرون حليقي اللحية أيضا لكن لهم شعر غزير منسدل إلى الخلف، حيث يستقر فوق الرقبة على شكل ضفيرة. ويصادفنا هذا الشكل في أعمال النحت في بسمايا، ونفر وتلو.

٣.وجود تناقض بين التماثيل الأشورية والسومرية، إذ تغيب تماما النقوش الكتابية من التماثيل الأولى التي تظهر في معظم التماثيل السومرية، وهنا يتساءل اندريه هل إن شعب أشور يجهل الكتابة ؟ إن ذلك غير ممكن برأي المنقب، فقد عثر في منطقة القصر القديم في أشور على كسر لرقم مشوية تحمل علامات كتابية، وقد وجدت هذه الكسر في الطبقات العميقة جدا التي لابد إنها تتطابق مع طبقة المعبد (G)أو (H). ولهذا يرى هذا المنقب بأنه ربما كانت الكتابة على التماثيل امتيازا للأمراء الكبار، بينما كان يجب على الأمراء الأصغر شأنا الاكتفاء بصنع تماثيل فقط دون نقش أية نصوص.

---

١١) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٢٨.

من خلال ذلك يخلص اندريه إلى نتيجة مفادها إن شعب الطبقة(G) كان تابعا لأحد الحكام من الجنوب، كما حصل لزريقوم الذي حكم لاحقا في عصر سلالة أور الثالثة[١٢].غير إن هناك أسباب وجيهة تجعلنا نرفض رأي اندريه، وان أشور في هذا العصر لم تكن خاضعة للجنوب، فبالنسبة للحجة الأولى الخاصة ببناء السكان معابدهم على غرار المعابد البابلية، فلا يشكل دليلا على سيطرة سياسية من الجنوب، طالما إن المؤرخين يؤكدون إن بلاد أشور كانت خاضعة طوال الألف الثالث قبل الميلاد لمؤثرات قادمة من الجنوب. وان القول بوجود عرقين من البشر في أشور على أساس الاختلاف في النحت، هو أمر لا يمكن الركون إليه، لان المنحوتات تخضع للأذواق الفنية أكثر مما تعكس اختلافات عرقية، فضلا عن إن استخدام المنحوتات كأدلة لاختلافات قومية أصبح مرفوضا من قبل الباحثين المحدثين[١٣].وان غياب النقوش من التماثيل الأشورية ربما يعود بالفعل إلى عدم معرفة السكان بالكتابة، ويبدو إن هذا الأمر هو الذي جعلنا لا نشهد وثائق كتابية من هذا العصر في أشور، ويشير العالم الألماني اوتو ادزارد إلى حقيقة إن العلاقات بين بلاد بابل وبلاد أشور كانت مغلقة إلى درجة ما، بسبب وجود جبل حمرين، وهو فرع من سلسلة جبال زاگروس، والصحراء الواقعة إلى الجنوب منه. ويعتقد ادزارد إن ذلك هو السبب في عزلة بلاد أشور لذلك فإنها لم تحصل على الكتابة إلا في وقت متأخر كثيرا عن بلاد بابل، فهناك بعض النصوص تظهر في أشور فقط خلال الفترة الأكدية[١٤].وان الافتراض الذي يقول إن غياب النقوش الكتابية من التماثيل في أشور بسبب إن ذلك امتيازا خاصا بالأمراء الكبار، وليس من حق الأمراء الأصغر شأنا يتناقض

---

١٢) المصدر نفسه،ص٢٨-٢٩.

١٣) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٧٩-٨٠.

١٤)اوتو ادزارد،"عصر فجر السلالات"،بحث ضمن كتاب:الشرق الأدنى-الحضارات المبكرة،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٦)،ص٩٥.

مع نتائج التنقيبات الاثارية في مدن اخرى غير اشور مثل ماري، فقد عثر في ماري(Mari)(تل الحريري قرب البو كمال الحالية) على تماثيل عليها كتابة أعانت الباحثين على معرفة أسماء الأشخاص الذين تصورهم التماثيل ومنها: تمثال الطحان أيدي-ناروم(Idi-Narum) والمغنية أور-نانشة (Ur-Nanše)(١٥)،وليس هناك من دليل على إن هؤلاء كانوا من الطبقة الحاكمة. لذا لماذا نفترض ان هذه الميزة موجودة في اشور رغم عدم وجود دليل عليها.

نخلص من هذا إن محاولة البرهنة على إن بلاد أشور كانت خاضعة للجنوب في هذا العصر، لا يمكن الأخذ بها ما لم تتوفر أدلة كتابية تؤكد هذه المسألة. هذا ويمكن الافتراض إن بلاد أشور خلال هذه الحقبة على غرار الجنوب كانت تتألف من عدد من الدويلات مثل أشور، ونينوى، رغم وجود رأي يقول إن بلاد أشور لم ينشأ فيها نظام دول المدن في عصورها القديمة على غرار ما ظهر في الجنوب(١٦).ونقرأ في نص يعود لأحد حكام الجنوب وهو لوكال انيموندو حاكم دولة اداب (Adab) والذي حكم حسب ما يذكر الإثبات السومري للملوك تسعون سنة(١٧)،والذي ربما كان من ملوك سومر العظام. وقد وصلتنا منه وثيقة متأخرة تدل على انه كان غازيا كبيرا، بسط نفوذه من الأراضي الواقعة بين البحر

١٥) انظر حول هذه التماثيل:أنطوان مورتكات،الفن في العراق القديم،ترجمة:عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،(بغداد:مطبعة الأديب البغدادية،١٩٧٥)،الألواح:٦٤، ٦٨-٦٩؛طارق عبد الوهاب مظلوم،"النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص٣١.

١٦) انظر هذا الرأي في: باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥٢٤؛احمد مالك الفتيان،نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،١٩٩١)،ص١١٥.

17)Samuel Noah Kramer, "The Sumerian King List", In ,Problems Ancient History ,Vol:I, The Ancient Near East and Greece, Edition By: Donald Kagan,(NewYork,1975),P.3;Jean-Jacques Glassner ,Mesopotamian Chronicles ,(Atlanta,2004),No.1,P.123.

المتوسط حتى جبال زاكروس، ووصفته الوثيقة بملك الجهات الأربعة، وتتحدث عن بنائه معبد ينامزو(É-Nam-Zu) وتذكر حضور وفود من الدول المجاورة ومنها بلاد سوبارو (سوبير) مع أضاحيهم للمشاركة في هذه المناسبة[١٨].فإذا ما أخذنا ما ورد في هذه الوثيقة كحقيقة تاريخية، فان ذلك يعني وجود علاقات سياسية مبكرة بين بلاد أشور والجنوب. ومن الجدير بالذكر إن الوثيقة تشير إلى إن الوفود الذين حضروا كانوا بصفتهم سوكال ماخ(Sukkal-Maḫ) وهي كلمة سومرية تعني وزير الملك[١٩].ويترجمها ادزارد الوزير الأقدم، وان سوكال في الأصل تعني مبعوث أو رسول[٢٠].مما يشير إلى وجود تنظيم إداري جيد في أشور في هذه الحقبة.

إن محاولة الاعتماد على المادة النصية القادمة من الجنوب لمعرفة تاريخ أشور مخيبة للآمال، فالوثائق السومرية لا تقدم لنا معلومات ذات شأن مهم، ولا يمكن من خلالها رسم حتى تصور أولي عن هذه المنطقة.

أما الجوانب الأصعب، والاهم في تاريخ أشور، وهي مسألة أصل السكان الذين استوطنوا هذه الأرض، ففي ظل غياب المصادر الكتابية تبقى المسألة غامضة ومربكة. فكما رأينا إن المنقب اندريه اعتقد انه من الممكن إن سكان أشور ربما كانوا من السومريين، نظرا للتشابه الكبير بين المظاهر الحضارية في الشمال والجنوب، ولكن هل يمكن للنصوص الكتابية المتوفرة في الجنوب تعطينا أضواء على التركيب العرقي لبلاد أشور؟ هنا أيضا كانت مصادرنا من

---

١٨)صموئيل نوح كريمر،السومريون:تاريخهم،وحضارتهم،وخصائصهم،ترجمة فيصل الوائلي،(الكويت:مطبعة غريب،١٩٧٢)،ص٦٨-٦٩؛سامي سعيد الأحمد،العراق القديم،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،١٩٧٨)،ج١،ص٢٥٥-٢٥٦.

١٩) انظر حول هذه الكلمة في:

MDA,No.321;CDA,P.327.

٢٠) اوتو ادزارد،"سلالة أور الثالثة:إمبراطوريتها والدول التي خلفتها"،بحث ضمن كتاب:الشرق الأدنى-الحضارات المبكرة،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٦)،ص١٤٢.

سومر مخيبة للظن، باستثناء التسمية التي ظهرت في نص ايناناتوم، وهي سوبار. فهل هذه نفس المنطقة الواردة في نص لوكال انيموندو باسم سوبارو/سوبير، والنصوص الخاصة بإخبار سرجون الاكدي وهي سوبارتو(Subartu)؟. ليس من غير المعقول أن نفترض إن سوبار هي نفسها سوبارو، وسوبارتو، وكما ذكرنا سابقا إن تسمية سوبار تحمل مدلولا جغرافيا وليس عرقيا، والحقيقة إن موقع سوبارتو يصعب تحديده بشكل قاطع، ويفترض بوتيرو إن منطقة سوبارتو تقع في أعالي وادي الرافدين في المنطقة الممتدة من جبال زاكروس إلى الخابور والبليخ، وربما إلى أكثر من ذلك غربا[٢١].وكان يقع ضمن هذه المنطقة كما يعتقد الاستاذ باقر بلاد أشور الأصلية[٢٢].بينما يعين الأستاذ الأمين هذه المنطقة بأنها الواقعة إلى شمال كركوك وشرقيها[٢٣].فهل يمكن أن تكون تسمية سوبارتو تدل في العصور المبكرة على بلاد أشور ؟.في النصوص المتأخرة فقط يمكن أن نجد هذه المطابقة، فالملك دادوشا حاكم اشنونا في العصر البابلي القديم(٢٠٠٦-١٥٩٥ قبل الميلاد) يتحدث عن جيش حاكم ماري الأشوري يسمخ ادد (Ismuḫ-adad) ويقول عنه: "جموع سوبارتو وخانة"[٢٤].وان قائمة سنوات حكم حمورابي ملك بابل (١٧٩٢-١٧٥٠) يرد فيها تسمية سوبارتو التي ربما تعني بلاد اشور[٢٥].ونجد إن الملك البابلي مردوخ-ابلا-ايددينا (٧٢١-٧١٠) يطلق على الملك سرجون الثاني الاشوري(٧٢٢-٧٠٥) اسم ملك السوباريين، وليس الأشوريين، ويسمي جيشه

---

٢١) جان بوتيرو،"الإمبراطورية السامية الأولى"،بحث ضمن كتاب:الشرق الأدنى-الحضارات المبكرة،ترجمة:عامر سليمان،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٦)،ص١١٢.

٢٢) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٩٨، ٥١٨.

٢٣) محمود الأمين،قوانين حمورابي صفحة مشرقة في حضارة وادي الرافدين،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧)،ص١٢.

٢٤) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥١٩.

25)A. Leo Oppenheim, List Of Date Formulae Of Reign Of Hammurabi, In, ANET,(Princeton, 1966),P.270.

جموع سوبارتو[٢٦].وفي نص يعود إلى نابونائيد يصف ملك أشور سنحاريب ويسميه ملك سوبارتو[٢٧].إن الأدلة السابقة تشير بشكل جيد إلى إن أشور/سوبارتو اسم لمنطقة واحدة، أطلق عليها في النصوص اسم سوبار-شوبور-سوبير-سوبارتو-شوبارتو. وهنا يبرز التساؤل من هؤلاء السوباريين الذين تركوا اسمهم على هذه المنطقة حتى أواخر حضارة وادي الرافدين؟

إن النظرية السائدة تقول إن السوباريين كانوا من أوائل من سكن بلاد أشور، وهم الذين سبقوا الأشوريين في الاستيطان، ويرجح أن يكون الاسم الأصلي لبلاد أشور كما أسلفنا،(سوبارتو)أو (شوبارتو)أو (سوبير)،نسبة إلى أولئك السوباريين. وان أصل السوباريون ولغتهم غير معروفة، وكل ما قيل عن لغتهم إنها ليست من عائلة اللغات الهندية-الأوربية، وأنهم كانوا من الأقوام الجبلية في الجهات الشرقية مثل: الگوتيين، واللولوبيين، وكانوا يقطنون في شمالي ما بين النهرين في منطقة الجزيرة العليا، وشرقي دجلة، وكان يقع ضمن موطنهم المنطقة الشمالية من العراق التي عرفت باسم بلاد أشور، وذلك قبل هجرة الأشوريين إليها في الألف الثالث قبل الميلاد، إذ أزاحوا القسم الأكبر من السوباريين إلى المناطق الجبلية شرقي دجلة[٢٨]. ولكن الأستاذ كريمر يرى بان ما يعرفون باسم الفراتيين الأوائل الذين سبقوا السومريين في الاستيطان يمكن أن نطابقهم باسم السوباريين[٢٩]فإذا ما صح هذا الافتراض فان الحضارتين الجنوبية والشمالية، ربما تعود إلى نفس الجذور الأولى. فضلا عن ألا يمكن

26)C.J Gadd," Inscription Barrel cylinder Of Marduk-Apla-Iddina II", In, Iraq, Vol:15,Part:2, 1953, PP.123,124,127.

27)A. Leo Oppenheim, Nabonidus Rise To Power, In, ANET,(Princeton,1966),P.309.

٢٨) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٥١٨؛ المحمداوي،التطورات السياسية في بلاد الرافدين،ص٣.

٢٩) كريمر،السومريون،ص٥٤.

النظر إلى إن حضارة شعب الطبقة (G-H) كانت سوبارية، أي بتعبير أدق هل يمكننا الافتراض إن حضارة هذا العصر هي حضارة سوبارية وليست أشورية؟ هل يمكن أن ننسب اللقى الاثارية التي عثر عليها، والتي تعود لهذا العصر في أشور إلى أولئك السوباريين المجهولين المتأثرين بالحضارة السومرية؟ إن السبب الذي يدفع إلى هذا الاعتقاد إن سكان أشور في هذا العصر لو كانوا أشوريين لذكروا باسمهم، وليس باسم السوباريين، ولكن النصوص المسمارية تذكر صراحة بلاد سوبار/سوبارتو وليس بلاد أشور. ومع ذلك هل يمكن إن الأشوريين يكونوا قد دخلوا شمال العراق في هذا العصر؟ إن هناك افتراض يقول إن الأقوام الرئيسة التي استوطنت بلاد أشور منذ فجر التاريخ هي تلك التي قدمت من ناحية الغرب عن طريق سوريا، ومنطقة الجزيرة. ويظن إن أول هجرة كبيرة معروفة حدثت في أواخر الألف الرابع، وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، واتجهت نحو القسم الوسطي والجنوبي من العراق، وعرفت بالهجرة الاكدية في حين اتجهت مجموعة منها إلى المنطقة الشمالية من العراق مكونة طلائع الأقوام الأشورية. ومما يؤكد إن طلائع الأشوريين يؤلفون هم، والأقوام الاكدية في الأصل موجة بشرية واحدة جاءت عن طريق الغرب، إن اللهجة الأشورية القديمة واللهجة الاكدية القديمة، تتشابهان إلى درجة ظن بعض الباحثين بأنه لابد إن كان الأشوريون قد استقروا في الجنوب إلى جانب الاكديين قبل نزوحهم إلى الشمال. غير إن تفسير التشابه بين اللهجتين، ربما يشير الى انحدارهما من أصل واحد، ومن ثم ارتباطهما الوثيق فيما بينهما من بعد استقرار كل من الأشوريين والاكديين في منطقتين مختلفتين[٣٠].ربما إن التنقيبات المستقبلية في العراق والدراسات القادمة ستستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة؟

---

[٣٠] عامر سليمان،"منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"،بحث ضمن موسوعة الموصل الحضارية،(الموصل:دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩١)،ص٦٠-٦١.

لا نعرف الكثير عن حضارة الطبقة(G)،وان المعلومات المتوفرة هي تلك التي حصلنا عليه نتيجة التنقيبات الاثارية. وان الوصف التالي لهذه الحضارة سيعتمد على نتائج هذه التنقيبات.

ليس لدينا معلومات كافية تخص الحياة الاجتماعية في أشور خلال هذه الحقبة، سوى ما عثر عليه من لقى اثارية، منها بقايا البيوت الطينية، إذ كان الطين هو المادة الأساسية في البناء، في شمال العراق وجنوبه، وهو المادة الرئيسة الأوفر والأكثر اقتصادا والأقل كلفة والأكثر قدرة على التطويع والتشكيل[٣١].فقد كانت في أشور البيوت طينية، وهذا ينطبق كذلك على كبار القوم وأمرائهم. ويمكن لهذه البيوت أن تتشابه مع أبنية المعابد في مخططاتها وترتيب أجزائها: غرف نوم حول فناء واحد أو فناءين، وغرفة كبيرة واحدة أو غرفتان، ومداخل تؤدي إليها من خلال الزقاق، وان أرضية البيوت عبارة عن تراب أو حصى مدقوق، أما الحجارة المنبسطة، والأجر المشوي فلا يتوفران إلا عند العتبات فقط، وربما وجدت فوق الأرضية حصيرة مصنوعة من القصب(الذي لابد وان كان يجلب من الجنوب)،لان عموم السكان كانوا يجلسون على الأرض، أما الكراسي فكانت مخصصة في الأصل للإله فقط، أو للأمراء. وكان الكرسي عبارة عن مقعد مكعب الشكل بلا مسند يكون سطحه المخصص للجلوس مقعرا. وقد عثر في أماكن متعددة من المعبد أجزاء مرتفعة تشبه المقاعد تمتد على طول الجدران تصلح للجلوس، كما إنها مثل الجدران تصلح للجلوس، وهي مثل الجدران مبنية باللبن، ومطلية بملاط طيني. ولا نعلم ما إذا كان مثل هذه المقاعد قد توفرت في البيوت أم لا؟ وقد عثر في تلو مقاعد شبيهة بهذه لكن الاستخدام الحقيقي للغرف التي وجدت فيها غير معروف تماما على الرغم العثور على

---

٣١) مؤيد سعيد،"العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث"بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص٩٧.

العديد من الرقم الطينية فيها. ولم يصلنا شيء ومن الحاجيات التي كانت تدخل في مجال الاستعمال اليومي، باستثناء تلك المصنوعة من الفخار، فالمواد مثل الأخشاب، أو المنسوجات تتلف بسرعة في المناخ والرطوبة العالية(٣٢).

زاول السكان عدداً من الحرف وبلا شك كانت الزراعة أهمها، فالمعروف إن في كل إقليم من بلاد أشور توجد مساحات صغيرة من أراضي الحبوب، وكانت هناك منطقتان واسعتان بالذات منتجتان بشكل واضح للحبوب، الأولى: هي سهل اربيل- ولا نعرف إن كان هذا الإقليم كان من ضمن حدود بلاد أشور في ذلك الحين-الذي يوصف بأنه أحسن إقليم منتج للقمح في العراق، والمنطقة الثانية هي سهل الموصل. والى الغرب من دجلة هناك حزام من الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة الجزيرة إلى الجنوب من وجبل سنجار، ويمكن أن نلحظ انه في السنوات الجيدة ينمو الشعير في هذا السهل إلى الخط الذي يصل بين الحضر وقلعة الشرقاط (موقع العاصمة القديمة أشور)(٣٣).ونعرف عن وجود عدد من الحرف من الشواهد الاثارية فقط، إذ كانت النجارة مزدهرة في ذلك العصر، ونمتلك عنها معلومات من خلال التماثيل الجالسة التي وصلتنا. ونعرف أيضا وجود حرفة الحفر على العاج، أما صناعة النحاس فيشير إليها منجل عثر عليه في معبد عشتار. وكانت صناعة الفخار مزدهرة، وقد وصلتنا نماذج من الأواني الفخارية المستخدمة في أشور، والتي تعد من حيث شكلها وصناعتها مساوية لأفضل ما قدمته صناعة الفخار خلال العصور الأشورية. واستخدم السكان أنواع متعددة من الفخاريات، فهناك وعاء خزن الماء المستعمل في البيوت، والذي كان يركب فوق حامل خشبي، ويوضع تحته وعاء أخر لتجميع قطرات الماء المرشح، كذلك هناك الأقداح، والأطباق

٣٢) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٤.

٣٣) هاري ساكز،قوة أشور،ترجمة:عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص١٧.

والكاسة، التي تستخدم لشرب الماء. فضلا عن أوعية الطعام، ومواقد الفحم لموسم البرد، ومجاري وأحواض الغسيل. وهناك أدوات، واوانٍ مصنوعة من الفخار المشوي خاصة بالصلاة والعبادة. ويبدو تلوين أو نقش الأواني بالمعنى الحقيقي لم يكن مألوفا في ذلك العصر، وكل ما نعرفه هو أعمال بسيطة فقط مثل التنقيط بنقط سوداء أو رسوم دوائر أو ما شابه، وقد اقتصدوا كثيرا في هذه الأعمال التي تظهر في الغالب على رقاب وأكتاف الآنية. وان اللونين الأسود والأحمر المستخدمان على الآنية، كانا مستخدمان في عهود ترقى إلى ادوار ما قبل التاريخ وصولا حتى عصر الطبقة (H)[٣٤].ولا نعرف كيف كانوا يقومون بصناعة الألوان، وقد أشير بشكل عام إلى إن نقوش الفخاريات لونت بألوان من أصل عضوي ومعدني، واستخلصت الألوان العضوية من عصير النباتات أو الكربون، والمعدنية من اكاسيد الحديد والمنغنيز. وكانت اللون الأسود ينتج من استعمال عصير النباتات الذي يصبح اسود إذا كانت حرارة الكورة المستخدمة لشي الفخار قليلة ومدتها قصيرة. وكذلك يتم الحصول على اللون الأسود من اوكسيد الحديد، أو اوكسيد المنغنيز أو الكربون. أما اللون الأحمر فيتم الحصول عليه من اوكسيد الحديد أيضا[٣٥].كانت زخرفة أواني الطبقة (G)،أما بارزة أو غائرة، فالأوعية الكبيرة تزين عادة بحلقات منتفخة مثل الحبل، وهذه تزيد من تماسك الإناء وقوته، ويقل عددها في الأواني الصغيرة، وكذلك تشمل الزخرفة خطوط متموجة ومستقيمة ونقاط تنتج بوساطة الخدش والحز[٣٦].

كشفت التماثيل عن الأزياء التي لبسها السكان في هذا العصر، ويشير مورتكات إن الأمير-الكاهن عادة ما يظهر وهو حليق الرأس في أكثر الأحيان، وفي

---

٣٤) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

٣٥) تقي الدباغ،"الفخار في عصور ما قبل التاريخ"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٣،ص١٢.

٣٦) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

لبـاس يسـمى التنـورة ذات الخصـل الصـوفية (الكونـاكس) المؤلفـة مـن سـبعة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية بعضها فوق بعض[٣٧].ويبدو إن هذا الزي هو الذي كان سائدا خلال هذا العصر، ويمكن أن نقارن الملبس في تمثال وصلنا مـن أشـور[٣٨]مـع الملابـس التي تظهـر على التماثيـل مـن أنحـاء مختلفـة مـن وادي الرافـدين، مثـل التمثـال من الرخـام لرجـل مـن خفاجـة(في ديـالى)[٣٩]،أو التمثـالين مـن مـاري المصـنوعان مـن حجـر الكلـس لـ(ايتور-شـامكان)،و(ناني)[٤٠].ونشـاهد نفس الملبس يرتديه ابن اياناتوم حاكم لكش باستثناء إن الملابس التي يرتديها تتألف من خمسة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية[٤١].ونشاهد الحاكم انتمينا يرتديه في تمثال من حجر الدورايت[٤٢].وتظهر النساء وهن يتركن الكتف الأيمن والثدي عاريين، ويعتقد اندريه إن هذا الزي يرتدى فقط أثناء الصلاة، وفي تمثال تظهر امرأة برداء كأنه حجاب كامل، ويبدو الرداء في شكل عباءة ترتدى فوق الملبس الاعتيادي. وتصنع هذه العباءة من قطعة قماش بخصل مستطيلة الشكل، وبحافة عليا مقلوبة بحيث إن الخصل المسحوبة إلى الداخل تظهر في الأعلى كياقـة متجهـة للخـارج[٤٣].ربمـا فقـط النسـاء الأحـرار يرتـدين مثـل هـذه الثياب، أو بتعبير أدق كانت النساء الأحرار يظهرن بحجاب كامل، كما تشير إلى ذلـك المـادة القانونيـة المتـوفرة مـن العصـر الأشـوري الوسـيط[٤٤]،وربمـا يمكننـا

---

٣٧) أنطـوان مورتكات،تـاريخ الشـرق الأدنـى القديم،ترجمـة:توقيف سـليمان وآخرون،(دمشق،ب.مط،١٩٥٠)،ص٧١.

٣٨) مورتكات،الفن في العراق القديم،،اللوح:٧٧.

٣٩) المصدر نفسه،اللوح:٧٦.

٤٠) المصدر نفسه،الألواح:٧٨-٧٩.

٤١) المصدر نفسه،اللوح:٨٥؛فرج بصمه جي،"تمثال ابن أين اناتم الأول في المتحف العراقي"،مجلة سومر،م ١٤،لسنة:١٩٥٨،ص١٢٥-١٢٦

٤٢) مورتكات، المصدر نفسه،الألواح:٨٧-٨٨.

٤٣) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٢.

٤٤) انظر المادة:٤٠-٤١ من قوانين العصر الأشوري الوسيط في:

الافتراض وجود مثل هذه الحالة في العصور المبكرة. فضلا عن ذلك تعطينا التماثيل تفاصيل أخرى عن أدوات الزينة، فقد ارتدت النساء القلائد من الخرز، وكذلك الحلق، وتعرفنا الأشكال الفخارية عن مشبكات الأذرع(٤٥).

إن معلوماتنا عن المعتقدات الدينية خلال هذا العصر قليلة، فلا نمتلك مادة كتابية حول العبادة أو الطقس الديني، ولا نعرف شيئا عن مجمع الآلهة، باستثناء الافتراض عن وجود عبادة للربة عشتار(اينانا السومرية) على أساس المعبد الذي كشفت عنه التنقيبات، والذي يعود في عصور لاحقة إلى هذه الربة. ولا نعرف إن كان الأشوريون في هذا العصر موجودين في أشور أم لا ؟و لا نعرف كذلك إن كانت عبادة الإله أشور المعبود الرئيس للأشوريين كانت موجودة؟

كشفت التنقيبات في أشور عن بقايا معبد مهم شيد لعبادة الإلهة عشتار، وقد سجل لهذا المعبد دوران رئيسان، أقدمهما دور التأسيس وهو المعبد المسجل بحرف (H) في التنقيبات، والذي شيد على الأرض البكر، ثم شيد فوقه المعبد الثاني وفق المخطط نفسه وهو المعبد (G).ويشير الفخار الذي وجد في المعبد إلى انه استمر في الاستعمال في الطور الثاني، وأوائل الطور الثالث من عصر فجر السلالات(٤٦).وكما نوهنا سابقا فانه لا توجد فروق كبيرة بين المعبد في هذا العصر والبيوت السكنية، فيما عدا وجود غرفة الإله التي تمتاز بجدران سميكة ومساحات واسعة. إن غرفة العبادة تقع على الفناء حتى إذا كان الفناء لا يؤدي إليها مباشرة، وكان الشخص الداخل إليها يجد نفسه في زاوية المكان وعليه أن يستدير شمالا لكي يستطيع رؤية الإله. وربما كان هناك مكان مرتفع لنصب

Theophile J. Meek ,"The Middle Assyrian Laws", In: ANET,(Princeton,1966),P.183.

فوزي رشيد،الشرائع العراقية القديمة،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٧٩) ،ص١٩٤-١٩٥.

٤٥) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٤.

٤٦) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣١٢.

تمثال الإله، هذا الموضع يبدو مرتفعا جدا في المعابد الأشورية المتأخرة، نسبة إلى الموضع الواطئ في المعابد البابلية الذي لا يزيد عن سلم ذي درجة واحدة، لذلك كان لابد من وجود درج للوصول إلى سطح القاعدة المرتفع، بينما كان البابلي القديم يقف بنفس الارتفاع مع تمثال إلهه تقريبا. ومن الملفت للنظر انه لم يبق أي اثر للتمثال المعبود في المعبد. وربما كان الموضع المرتفع يقع عند الجدار الضيق، وعلى يسار الشخص الداخل. وفي عصر الطبقة(H)كان موضع الإله يبرز عن بقية أجزاء الغرفة بواسطة أعمدة جدارية على كلا الجانبين، بحيث نشأ عن ذلك مكان صغير يمكن أن نسميه(bīt rēši) (البيت الرئيس)[٤٧]،ويفترض اندريه إنهم عمدوا إلى عزله بستارة أو حصيرة[٤٨]،رغم لا يوجد ما يؤيد ذلك لافتقارنا للنصوص الكتابية[٤٩].

لا تعرف أمورا كثيرة عن الطقوس الدينية وربما كان الأفراد يُصّلون إلى الـه وهم عراة، ففي مشهد في نحت بارز نشاهد رجلا وهو يقدم قربانا من المشروب، مرة إلى الـه ملتحٍ وأخرى إلى إلهة أنثى، والرجل عارٍ تماما، وحليق الشعر كليا. ومن خلال المشهد السفلي نتعرف على رجلين حليقا شعر الرأس تماما يسوقان ماعز وخروفا جبليا، ويحمل الرجل الذي يسير في المقدمة شيئا ما على رأسه، وهما يرتديان تنورة ذات الخصل. ويمكن أن نشاهد من إن احد الرجلين يمسك بيده اليمنى شيئا له صلة بالعبادة موضوعا فوق رأسه، بينما

---

[٤٧] يفضل العلماء الغربيون استخدام مصطلح قدس الأقداس على الغرفة الخاصة، بالإله وهي تسمية مأخوذة بالدرجة الأساس من المعارف التوراتية، لذا فضلنا استخدام المصطلح البابلي الأصلي.وبيت ريشي (bīt rēši) يعني البيت الرئيس أو قدس الأقداس. انظر حول معنى الكلمة:
MDA,No.324.

[٤٨] اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٦.

[٤٩] يفترض اندريه هذا الافتراض قياسا على ما كان موجودا في هيكل سليمان،انظر:اندريه،المصدر نفسه،ص٣٦.ويمكن أن نقرأ عن وجود مثل هذه الستارة في هيكل سليمان:"وصنع الحجاب (الفاصل بين المحراب وبقية الهيكل) من قماش ازرق اللون وبنفسجي واحمر وكتان،طرز عليه رسم الكروبيم".أخبار الأيام الثاني،٣: ١٤.

يرفع الثاني يده بأسلوب يدل على إيماءة الصلاة. وربما كان الرجلان في الإفريز الأسفل لا يمثلان مباشرة أمام الإله مثل واهب المشروب، لذا فهما لا يزالان يرتديان ملابس دنيوية اعتيادية أي التنورة ذات الخصل[٥٠].وربما كان الشخص العاري يمثل كاهنا في حين إن المتعبدين يرتدون ملابسهم الاعتيادية، ويشير الأستاذ فون زودن انه في العصر السومري، يبدو انه توجب خلال بعض تقديم القرابين أن يظهر احد الكهنة عاريا أمام الإله، وربما كان ذلك ليدلل على طهارته التامة[٥١].

يمكن أن نفهم من التماثيل في المعبد إن علاقة المصلين بالإله كانت علاقة قريبة، حميمة وشخصية، فالإله قريب وحاضر دائما، وانه يقيم مع البشر في مكان واحد، والإنسان يخطو إليه كما يتقدم نحو أي مخلوق حي، يتكلم معه، ويتلقى أجوبته ويقدم إليه القرابين. هكذا هي كانت الصورة في المعابد السومرية، وليس هناك أي مبرر- نظرا للتشابه الكبير بين المظاهر الحضارية بين الجنوب والشمال- لكي نتصور حالة سكان الطبقة (G) في أشور يختلف كثيرا، لكن العلاقة هنا ربما تأثرت بمقدار ضئيل بسبب وجود تمثال الإله فوق مكان مرتفع مقارنة بالإله البابلي. ولكن لا نعرف شيء عن تمثال الإله وربما كان مصنوعا من مادة سريعة التلف، ومغطى بملابس حقيقية مليئة بالزخارف والحلي[٥٢].كان من النادر أن يدخل المرء إلى المعبد دون قربان، ونشاهد هذه الحالة في العديد من مشاهد الصلاة. وفي معظم الأحيان تقوم آلهة اقل شأنا، ومنزلة بتقديم المصلي إلى الإله الكبير المتربع على عرشه، لذلك لم يكن يسمح للمصلي بالظهور أمام الإله بمفرده، ومن تلقاء نفسه بل يحتاج إلى من

---

٥٠) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٢-٣٣.

٥١) ف.فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم،ترجمة:فاروق إسماعيل،(دمشق:دار المدى للثقافة والنشر،٢٠٠٣)،ص٢٠٨.

٥٢) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٦-٣٧.

يقوده ويقدمه[٥٣].هذه الحالة نشاهدها بشكل جيد في الجنوب، ويعرف الإله الثانوي عادة بين الباحثين باسم الإله الحامي أو الشخصي، ففي الأختام الاسطوانية هناك مشهد يمثل فردا عابدا يقدمه اله أو إلهة إلى بعض الآلهة من مقام ومرتبة أعلى[٥٤].وربما إن كهنة بزي آلهة هم الذين تولوا هذه المهمة[٥٥].ولكن ماذا تمثل هذه الآلهة في أشور؟ إن غياب الوثائق يجعلنا لا نفهم دورها، لكن في سومر كان لابد للإنسان من اله شخصي، وسيط للتدخل من اجله أمام الآلهة، وسيط تكون الآلهة الكبرى راغبة بالسماع إليه، فالإله الحامي أو الشخصي أشبه ما يكون بالملاك الطيب لكل شخصية مهمة ورب أسرة، الذي يعنى بعائلة ذلك الإنسان عناية خاصة، فهو بمثابة والد الإنسان الإلهي الذي أنجبه، أو ربما هو تشخيص لحظ الفرد ونجاحه في الحياة. فالفرد في وادي الرافدين لا ينظر إلى الآلهة الكبار إلا كقوى نائية ليس له أن يتضرع إليها إلا في الأزمات الشديدة، و لا يفعل ذلك إلا عن طريق هذا الإله الوسيط [٥٦].هذه هي صورة الإله الحامي في بلاد سومر، ولا نعرف إن كانت هذه الصورة هي نفسها في بلاد أشور أم لا ؟ ومع ذلك ليس هناك من مبرر للقول إن الأمر لم يكن هكذا في بلاد أشور.

كان هناك شتى الأنواع من القرابين التي يحملها المصلي للإله، سواء كان قربانا حيوانياً أو نباتيا، وقرابين سائلة مثل الماء. ونشاهد في المنحوتات أسلوبان عند سكب الماء وهما: السكب من وعاء الهبات إلى إناء ثانٍ، أو السكب على الفاكهة أو باقات الورود. وان الطريقة الأولى تعد واقعية، أما الثانية فهي تمثل

---

٥٣) المصدر نفسه،ص٣٧.

٥٤) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣٦٩.

٥٥) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٧.

٥٦) كريمر،السومريون،ص١٦٧-١٦٨؛ثوركيلد جاكوبسن،"ارض الرافدين"،بحث ضمن كتاب:ما قبل الفلسفة،ترجمة:جبرا إبراهيم جبرا،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠)،ص٢٤٠-٢٤١.

إجراء ذي معنى مجازي، إنها تُري الإله وهو يقوم بسقي الفاكهة والأشجار في الحقول والبساتين بماء المطر. وكان المصلي يحمل القربان بيده إلى الإله، أو يحل محله أحيانا خادما يتولى هذا الأمر، ويسير خلف سيده صاحب القربان مرتديا زيه ومقلدا إيماءات صلاته. وبعد ذلك يجري ذبح الحيوان قربانا للإله. وربما يتم ذلك عند مدخل غرفة الإله، والسبب في هذا الاعتقاد وجود حوض مربع ومجرى ماء بالقرب من هذه الغرفة، ومن المحتمل إن دم الذبيحة يجمع في وعاء من الفخار مربع الشكل، وهو الذي عثرت التنقيبات على كسر منه في الغرفة. وكانت قطع اللحم الجيدة: كالرأس، والأضلاع، والأفخاذ، تقدم عادة للإله، وتوضع فوق منضدة القرابينة الصغيرة التي لا يزيد ارتفاعها عن المتر الواحد، والمصنوعة من الفخار المشوي. وكشفت التنقيبات في المعبد عن حوامل فخارية عالية تنصب على مقربة من الإله، الغرض منها تهيئة مكان لباقات الزهور أو لحزم من الثمار، أو يوضع في أعلى الحامل الفخاري طبق ثابت في فوهته العليا أو متحرك يوضع عند الاستعمال. للطبق فتحات تسهل حرق الأخشاب ذات الرائحة الطيبة أو البخور[٥٧].

كانت المعابد في أشور مليئة بتماثيل نذرية لأمراء وأميرات وكهنة، وربما لأناس أدنى منزلة اجتماعية، وهذه الظاهرة نشاهدها في ماري أيضا، وفي معبد الإله سين في خفاجة، والتي تعود إلى بدايات الألف الثالث قبل الميلاد. وان أفضل صورة عن أهمية، وغرض التماثيل النذرية يقدمها لنا معبد عشتار الطبقة(G) من أشور. إذ وضعت أمام تمثال الإله في البيت الرئيس (قدس الأقداس)،مباخر عالية ومذابح مدرجة على شكل بيوت[٥٨]،بينما انتصب على كل مقعد من المقاعد الموضوعة على كلا الجدارين الطويلين تماثيل واقفة

---

٥٧) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٧-٣٨.

٥٨) حول المذابح الصغير ذات شكل البيوت التي عثر عليها في أشور انظر: اندريه،المصدر نفسه،ص٥١-٥٦.

وجالسة لمصلين رجالا ونساء، كان غرضهم عبادة الآلهة، واستمرار لتوسلاتهم إليها سعيا وراء إطالة الحياة، وكانت هذه التماثيل اصغر بكثير من الحجم الطبيعي للإنسان العادي؛ ودائما كانت منحوتة من الحجر الجيري الهش، ونادرا ما استخدم حجر الديورايت، وقلما يوجد بين هذه التماثيل من يحمل اسم صاحبه، وتعد هذه التماثيل الوريث المباشر لطراز تماثيل معبد آبو في مدينة اشنونا، غير إنها تختلف عنها كونها اقل تجريدية واشد تقيدا في النواحي الجسمية[٥٩].إن افتقارنا للمادة الكتابية يجعلنا لا نعرف بشكل جيد أهداف هذه التماثيل، ومرة أخرى لابد من الاستعانة بمادة نصية من بلاد سومر حتى نفهم مغزاها بشكل أوثق. إن التماثيل النذرية من بلاد سومر، وفي ديالى مصنوعة بلا استثناء للمعابد السومرية، وعثر عليها في بقايا هذه المعابد. وان هدف هذه التماثيل واضح، إذ وجد الفرد في الحجارة بديلا منحوتا له، وهذا ما تؤكده الكلمات الفعلية المستخدمة عند الكتابة على هذه التماثيل، مثل: "إنها تُمنح للصلاة"، وهو نقش عثر عليه في احد التماثيل من لكش، وهناك تمثال أخر يذكر: "قل أيها التمثال لمليكي(الهي)..."،فالتمثال يتحدث حديثا مباشرا إلى الإله[٦٠].لا نعرف إن كان الأشوريون هنا كانت لهم نفس الأفكار فيما يخص التماثيل النذرية، ولكن وجودها في المعبد يعطينا انطباعا إن الأمر هنا لا يختلف كثيرا عما كان يفكر فيه الناس في سومر.

لقد قدمت لنا المنحوتات إشارة إلى وجود الآلهة، وان النحت البارز الذي ناقشناه سابقا الخاص بتقديم القرابين، يظهر فيه صورة اله والهة، ولكن لا نعرف من هم، وان الدليل العماري الذي يشير إلى وجود معبد للربة عشتار، يدل إلى عبادة هذه الربة التي نجهل المعلومات عنها هنا في بلاد أشور. وتظهر في

---

٥٩) مورتكات،تاريخ الشرق الأدنى،ص٧٠-٧١.

٦٠) سيتون لويد،فن الشرق الأدنى القديم،ترجمة:محمد درويش،(بغداد:دار المأمون للترجمة والنشر،١٩٨٨)،ص١٠٩-١١٠.

الأشكال الصغيرة المصنوعة من الفخار صورة امرأة، وهي تمسك الثدي، وهذه إشارة إلى ربة الخصوبة، في مرة واحدة فقط، وعثر على شكل المرأة ومعها الطفل[٦١].ونحن نعرف في اقل تقدير إن النموذج الأخير شمالي بشكل لافت للانتباه، ويظهر في وقت مبكر في دور العبيد الشمالي(الألف الخامس قبل الميلاد)،فقد عثر في قرية تبة كورا (تقع على بعد ١٥ ميلا شما شرقي الموصل)،إلى نوع من دمى الطين ممثلة على هيئة امرأة تحمل على صدرها طفلا، وفسر المشهد بأنه يمثل الربة الأم[٦٢].هل يمكن أن نفسر التماثيل الصغيرة الفخارية من أشور دلالة إلى الربة الأم(عشتار) ؟ لا يمكن الجزم بالأمر، ومع ذلك تبدو المسألة منطقية إلى حد ما.

على الرغم من غياب المشاهد الجنسية في عصر الطبقتين (G-H) إلا إن ذلك لا يمنع من وجود عبادة ذات طقس جنسي[٦٣].وربما كان طقسا تعود جذوره إلى عصور ما قبل التاريخ فمنذ العصر الحجري الحديث كما يشير تشايلد كان هناك طقس سحري يقوم على اتحاد الجنسين بصورة احتفالية والذي قد يرمز إلى التلقيح في الطبيعة[٦٤].

ومثل أمور كثيرة ما زلنا نجهلها عن بلاد أشور وديانتها في هذه الحقبة فإننا أيضا لا نعرف الكثير عن معتقدات العالم الأسفل، ويمكننا الافتراض بان السكان كانوا يدفنون في التراب، كما تم إثبات ذلك بالنسبة للطبقة (E) (ربما كانت معاصرة لعصر سلالة أور الثالثة)،وهذا يتفق مع ما هو موجود في الجنوب، ففي فارا عثر على العديد من القبور الأرضية، وفي مسلة العقبان للملك السومري اياناتوم (المعاصر للطبقة G) نشاهده، وهو يدفن قتلاه من الجند في

---

٦١) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٩.

٦٢) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٢٥٧.

٦٣) اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٩.

٦٤) ف.غوردن تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ترجمة:حسين مؤنس،(القاهرة:بلا.مط،١٩٥٦)،ص٦٢.

قبر جماعي، ولا يحكي لنا المشهد عن أية توابيت أو حرف للجثث. وفي الطبقة (E) نعرف عن حالة مماثلة، مع اختلاف بسيط هو وجود حرق الجثث قبل الدفن فوق موقد خاص اعد لهذا الغرض، ولا نعلم ما إذا كانت هذه العادة سارية في هذا العصر أيضا أم لا؟،ويعتقد اندريه إنها حالة محتملة نظرا لوجود صلات تشابه بين الطبقتين[٦٥].

لا نعرف كيف انتهى عصر فجر السلالات في أشور، ولكن التنقيبات الاثارية تشير إلى إن الطبقة العائدة لهذا العصر قد دمرت تدميرا تاما[٦٦]،ولا نعرف الغازي الذي قام بهذا الفعل، هل من الممكن أن يكون التدمير ناتج عن الحركات العسكرية التي نفذها سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦)؟ لا يبدو الأمر غريبا، ونحن في اقل تقدير نمتلك أدلة عن قيام هذه الملك بمهاجمة بلاد سوبارتو (أشور)،فنصوص الفأل تتضمن إشارات إلى احتلال سرجون لهذه المنطقة[٦٧].وفي نص متأخر هو جزء من كتب الأخبار البابلية يشير إلى عملية عسكرية وجهها سرجون إلى بلاد سوبارتو وانه قام بإخضاعها[٦٨].

إن تاريخ أشور خلال هذا العصر يتسم بالغموض لعدم توفر النصوص الكتابية، وان المادة النصية المتوفرة في الجنوب قد تساعدنا من فهم بعض المظاهر الحضارية في بلاد أشور، رغم الحذر الشديد من استخدام هذه المادة كما يرى الأستاذ ساكز[٦٩]ومع ذلك فان المادة التي تقدمها النصوص من

---

[٦٥] اندريه،معابد عشتار القديمة،ص٣٥.

[٦٦] المصدر نفسه،ص٢٦.

[٦٧] بوتيرو،الإمبراطورية السامية الأولى،ص١١٢.

[٦٨] انظر أخبار الملوك المبكرين،اللوح:١،السطر:١٤ في:
A. Leo Oppenheim, "The Sargon chronicle", In: ANET, (Princeton, 1966),P.266;A.K Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles,(New Yorkm1975),No.20;Glassner ,Mesopotamian Chronicles,No.39.

[٦٩] ساكز،قوة أشور،ص٣٥.

الجنوب مهمة رغم ضعفها فيما يخص الجانب السياسي لبلاد أشور خلال هذا العصر. وتبقى المادة الاثارية في أشور هي المهمة من اجل دراسة أفضل للحقبة، مع عيوب الاعتماد على الآثار المجردة، لأننا سنعتمد على التخمين من اجل تصور الحياة الاجتماعية أو الدينية للحقبة.

الفصل الثاني

مقارنة بين نماذج من

أدب وادي الرافدين مع بعض النصوص الإنجيلية والفارسية[٧٠].

[٧٠] نشـــــر البحـــــث فـــــي مجلـــــة آداب المستنصـــــرية/كلية الآداب/الجامعـــــة المستنصرية/العدد:٥٥/لسنة:٢٠١١.

يمثل أدب وادي الرافدين أقدم الآداب العالمية المعروفة في التاريخ من حديث التأليف والتدوين، ويرجع تدوين أقدم النصوص الأدبية السومرية كما يرى المتخصصون إلى حدود ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وهي أسطورة مدونة على اسطوانة من الطين مقسمة الى عشرين حقلا. والأسطورة تتعلق باله الجو والريح اينليل(Enlil) ،وأخته نينخورساك(Ninhursag).وترد فيها إشارات عن آلهة أخرى مثل اينانا(Inanna)، واينكي(Enki)،ونينورتا(Ninurta). وان المفردات والمصطلحات، والأفكار الواردة في الأسطورة تكشف عن أسلوب وبنية، وتواصل مستمرين للحركة الأدبية في وادي الرافدين. وهناك أسطورة أخرى دونت على لوح مهشم للأسف يرجع الى التاريخ نفسه، وتتعلق بابن الإله اينليل المدعو ايشكور(Iškur) الإله العاصفة الذي اختفى داخل العالم الأسفل، فجمع الإله اينليل الالهة الانوناكي لطلب العون منهم، وكان الثعلب على ما يرجح هو الذي تطوع لإعادة ايشكور من العالم الأسفل. وان موضوع الثعلب يعيد الى الأذهان دوره في أسطورة أينكي ونينخورساك وارض دلمون(البحرين حاليا) المدونة في الألف الثاني قبل الميلاد(٧١).

ان المعروف إن غالبية النصوص الأدبية في وادي الرافدين قد تم إبداعها في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، أي قبل زمن تدوينها في أواخر الألف الثالث، وبداية الألف الثاني قبل الميلاد. وهذا يشير الى قدم هذا الأدب على الآداب العالمية، باستثناء مصر القديمة طبعا- الذي أتنا من أدبها شيئا خلال عصر الأهرامات، وهو عصر نضج الحضارة المصرية في الألف الثالث قبل الميلاد، اذ ان أقدم النصوص الأدبية التي يمكن ان نجدها فيما يعرف بمتون

(٧١) حول هاتين الأسطورتين وتحديد تاريخهما انظر:صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم و خصائصهم ،ترجمة : فيصل الوائلي،(الكويت :دار غريب للطباعة،١٩٧٣)،ص٢٢٩؛فاضل عبد الواحد علي، سومر أسطورة و ملحمة ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٧)،ص٥٧.

الأهرامات[٧٢].اما اوغاريت(رأس الشمرة الحالية) فان أقدم أدب عثر فيها يعود الى حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، أي بعد الزمن الذي دون فيه أدب العراق القديم بما لا يقل عن خمسة قرون، ومثل هذا يقال عن الأدب العبري، إذ لا يتعدى أقدم زمن لتدوين العهد القديم الى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. ونذكر على سبيل المقارنة أيضا الإلياذة (Iliad)، والأوديسة(Odyssey) اللتين تمثلان أقدم نتاج أدبي لليونان، فان زمن تدوينها لا يتعدى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد على أكثر تقدير، أي إنهما متأخرتان في الزمن عن تدوين أدب العراق القديم بحدود ألف عام. ونذكر أيضا ما يسمى بـ الرگ-فيدا (Rig-Vida) الممثلة لآداب الهند القديم، وكذلك الافستا (Avesta) المتضمنة أقدم أدب إيراني، فما من هذه الآداب ما هو مدون قبل النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، أي إن زمن تدوين أدب العراق القديم يسبقها بأكثر من ألف عام[٧٣].

منذ الكشف عن اداب وادي الرافدين، وترجمتها سرعان ما انتبه الباحثون عن وجود اثر لهذا الأدب في الآداب العالمية القديمة. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كان عالم المسماريات الشهير جورج سميث يعمل في المتحف البريطاني في تصنيف القطع الصغيرة في مجموعة ألواح هنري لايارد المسمارية. وقبل أن يترجم مصادفة ذلك الجزء من اللوح المتضمن على الجملة المذهلة التي تقول إن سفينة نوح قد رست على جبل نيصير (Niṣir)،تتبعها قصة إرسال الحمامة، وعودتها بعد فشلها في إيجاد مكان تحط فيه، لاحظ سميث قطعة مرقمة (k63)فيها إشارة إلى أسطورة الخلق؛ إلا انه في غمرة انفعاله لاكتشافه سابقة لنوح المذكور في الكتاب المقدس، قام سميث بتنحية هذه القطعة جانبا بصورة مؤقتة، وقد ركز جل اهتمامه في إيجاد

---

٧٢) حول متون الأهرامات انظر:حسن صابر،متون الأهرام المصرية القديمة،(القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٢).

٧٣) طه باقر، ملحمة كلكامش ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٦)،ص١٢-١٣.

عناصر أخرى مفقودة ومرتبطة بقصة الطوفان، فكتب في مفكرته حينذاك: "كان البحث عملا شاقا وطويلا، لأنه كان هناك آلاف من القطع الصغيرة التي تحتاج الى الفحص والدراسة". وخلال أسابيع قليلة، التأمت ثلاث روايات من قصة الطوفان المتباينة قليلا، جميعها مأخوذة عن مجموعة لايارد. لم يكتمل أي منها حيث كانت كل واحدة منها قد جمعت مع ربط عدد قليل فقط من الكسر الصغيرة. ومن أصل أعمدة النص الستة الموجودة في الألواح الأصلية، كانت تراكيب العمودين الثالث والرابع على وشك إتمامهما، أما البقية فقد كانت مفقودة بصورة كاملة، أو يمكن قراءتها بصورة جزئية بسبب الثغرات الموجودة. على الرغم من ذلك استطاع سميث أن يفك رموز ما يكفيه للمقارنة مع قصة الطوفان التوراتية ليهيئ محاضرته التي انتظرها بفارغ الصبر، والتي ألقاها أمام جمعية علوم الآثار التوراتية في ٣/كانون الأول/١٨٧٢.حركت المحاضرة التي ألقاها سميث أمام الجمعية شعورا جعل صحيفة الديلي تلغراف اللندنية أن تقدم مكافأة قدرها ألف جنيه إسترليني، لاستئناف التنقيبات في نينوى، وجلب الألواح المفقودة. وكان سميث قد نجح بعد ذلك في ترجمة نص أسطورة الخلق ونشر تقريره حولها في ٤/آذار/١٨٧٥ وقد أبدى دهشته حول التشابه الموجود بينها وبين الإصحاح الأول من سفر التكوين(٧٤).وخلال الأعوام من ١٨٧٢ الى ألان تمكن العلماء والباحثون من وضع مؤشرات واسعة حول اثر الأدب القديم في وادي الرافدين في الآداب العالمية القديمة. ولعل ابرز الدراسات التي نفذت قد

٧٤) وليم ريان ووالتر بتمان،طوفان نوح:الاكتشافات العلمية الحديثة بخصوص الحدث الذي غير التاريخ،ترجمة:فارس بطرس،إشراف ومراجعة:يوسف توما،(بغداد:مطبعة النهار الجديد،٢٠٠٥)،ص٦٠-٦٦.

تركزت حول العهد القديم[٧٥].كذلك تم تشخيص عدد من الآثار الأدبية البابلية في كل من الأدب الكنعاني[٧٦]،والحيثي[٧٧]،واليوناني[٧٨]،والفارسي[٧٩]،والهندي[٨٠].

إن دراسة المؤثرات الأدبية من وادي الرافدين ما زال جاريا، وان الدراسة الحالية هو محاولة تسليط الضوء على هذا الأثر من خلال أسطورتين في أدبين مختلفين وهما:

---

٧٥) حول اثر أدب وادي الرافدين على العبريين انظر:فاضل عبد الواحد علي،من ألواح سومر الى التوراة،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٩)،ص٢٣٩-٣٩١؛سيد محمود ألقمني،قصة الخلق أو منابع سفر التكوين،(القاهرة:المركزي المصري لبحوث الحضارة،١٩٩٩)؛سهيل قاشا،التوراة البابلية،(بيروت:دار الفرات للنشر والتوزيع،٢٠٠٣).وجرت معالجة مؤخرا وافية لأثر اداب الشرق الأدنى في العهد القديم من قبل:غسان عبد صالح،أساطير التوراة:دراسة تاريخية تحليلية،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٤).

٧٦) نفذت دراسة حديثة لأثر الأدب البابلي في الأدب الكنعاني ولكنها جزئية وغير وافية من قبل:منذر علي عبد الملك،"تأثير الأدب البابلي في الأدب الاوغاريتي،بحث ضمن ندوة الصلات المشتركة بين أبجديات الوطن العربي القديمة للمدة:١٠-١١/١٠/٢٠٠١،(بغداد: منشورات بيت الحكمة،٢٠٠١)،ص٧٣-٩٥.

٧٧ لا توجد حاليا تغطية شاملة عن اثر الأدب البابلي في الأدب الحيثي،باستثناء الإشارات القيمة في،علي،من ألواح سومر،ص١٩٣-١٩٥.

٧٨) لقد شخص اثر أدب وادي الرافدين في الأدب اليوناني في عدد من الدراسات ولم تظهر الى ألان دراسة شاملة حول المسألة ومن اجل الحصول على إشارات جيدة انظر:علي، من ألواح سومر،ص٢٠٦-٢٢٧.سامي سعيد الأحمد،حضارات الوطن العربي أساسا للحضارة اليونانية،(بغداد:منشورات بيت الحكمة،٢٠٠٣).وان الدراسة الأخيرة شاملة لكل المؤثرات الحضارية للشرق الأدنى في بلاد اليونان وفيها إشارات قيمة بخصوص اثر أدب وادي الرافدين في الأدب اليوناني القديم.

٧٩) لا نمتلك حاليا دراسة شاملة للمادة الأدبية الفارسية القديمة مع إبراز المؤثرات من وادي الرافدين عليها، وتمت محاولة جزئية من قبل:أسامة عدنان يحى،بابل في العصر الاخميني،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٣)،ص٣٠٦-٣١١.

٨٠) لم تتوفر الى ألان معالجة شاملة حول المؤثرات الأدبية السومرية-البابلية في الأدب الهندي، وشخص مؤخرا اثر أسطورة الخليقة في أسطورة هندية من قبل:أسامة عدنان يحى،الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم:دراسة في الأساطير،(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،٢٠٠٧)،ص٧١.

١.أسطورة يسوع والعاصفة.

تذكر أسطورة ترد في الأناجيل إن يسوع ركب قاربا يوما: "فتبعه تلاميذه وهبت عاصفة شديدة في البحر حتى غمرت الأمواج القارب. وكان يسوع نائما، فدنا منه تلاميذه وأيقظوه وقالوا له: نجنا يا سيد نحن نهلك! فأجابهم يسوع: مالكم خائفين، يا قليلي الإيمان؟ وقام وانتهر الريح والبحر، فحدث هدوء تام. فتعجب الناس وقالوا: من هذا حتى تطيعه الرياح والبحر"[٨١].

بلا شك إن هذه الرواية تعد من أهم الروايات الأسطورية عن السيد المسيح، ومعجزاته ترد في الأناجيل، ولكن دراسة فاحصة للنص تشير الى وجود اقتباس من الأدب البابلي. والحقيقة إن هناك أسطورة بابلية طالما نظر إليها على إنها ذات اثر في أسطورة هبوط ادم من الجنة[٨٢] ولم يتم ربطها بشكل جاد بالتراث الإنجيلي وهي أسطورة ادابا[٨٣].ونقرأ في هذه الأسطورة:

"(في احد الأيام)،على الرصيف المقدس رصيف القمر الجديد

ركب سفينته الشراعية

وبريح (مواتية) كانت السفينة تتابع تقدمها

و[بواسطة] عصا الغرز (وحدها) كان يوجه سفينته

[وعندما وصل الى عرض] البحر الفسيح

---

[٨١]) انظر نص الأسطورة في:متى ٨: ٢٣-٢٧؛مرقس ٤: ٣٥-٤١؛لوقا، ٢٢:٨-٢٥.

[٨٢]) انظر:علي،من ألواح سومر،ص٢٦٠-٢٦٧.

[٨٣]) من اجل الحصول على ترجمات وافية لهذه الأسطورة انظر:

E.A Speiser, Adapa, In: ANET(= Ancient Near East Texts Relating to the Old Testament),(Princeton,1966),PP.101-103;

الكسندر هايدل،الخليقة البابلية:قصة النشوء والتكوين عند قدماء العراقيين وانعكاساتها على العهد القديم،ترجمة:ثامر مهدي محمد،مراجعة:محي الدين إسماعيل،(بغداد:منشورات بيت الحكمة،٢٠٠١)،ص١٩٧-٢٠١؛رينيه لابات،المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين:مختارات من النصوص البابلية،ترجمة:ألبير أبونا ووليد الجادر،(بغداد:مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨)،٣٤٤-٣٤٨؛قاسم الشواف،ديوان الأساطير،(بيروت:دار الساقي،١٩٩٧)،ج٢،ص٤٧٩-٤٨٦.

[بدأ يصطاد وكان البحر مثل مرآة]...

[...........]

ولكن ريح الجنوب [بدأت تهب بشدة فأغرقت]

سفينته ورمتها في عالم [الأسماك]

يا ريح الجنوب (صرخ لها) لتقع اللعنة

على جميع مخازيكِ!

لأكسرن جناحك! ما إن تلفظ بهذه الكلمات

حتى انكسر جناح ريح الجنوب"[٨٤].

إن لعنة ادابا أدت الى توقف هبوب الريح الجنوبية[٨٥].

إن مقارنة أولية للنص تكشف التشابه المذهل بين الأسطورتين، فالاثنين ادابا والسيد المسيح يركبان قارب، ويواجهان عاصفة من الرياح ويستخدمان قوة الكلمة(سحر الكلمة) في إيقاف هذه العاصفة، اللعنة بالنسبة لادابا، وانتهار الريح (ربما المقصود بها لعنة ما) في حالة السيد المسيح. ولكن الأمر لا يقتصر عند ذلك الحد، إذ إن قراءة أسطورة ادابا، والأساطير المتعلقة بالسيد المسيح في الأناجيل تكشف عن تماثل أعمق. فالمسيح كما هو معروف هو ابن الله[٨٦]،وان ادابا هو ابن الإله أيا[٨٧].ونعرف كذلك إن السيد المسيح كان شافيا للأمراض[٨٨] وان ادابا قد منح هذه الهبة من قبل الإله الأكبر انو:

"وبما إن ادابا هو من الجنس البشري

[وبطرقه الخاصة] يتمكن بنجاح من كسر جناح ريح الجنوب

---

٨٤) أسطورة ادابا،اللوح A،الأسطر:١٩-٢٣؛اللوح B،الأسطر:١-٥.

٨٥) أسطورة ادابا،اللوح B،الأسطر:٧-٨.

٨٦) بروس بارتون وآخرون،التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،ترجمة:شركة ماستر ميديا،(القاهرة:بلا.مط، ١٩٩٧)،ص١٨٦٥.

٨٧) أسطورة ادابا،اللوح B،السطر:١٠.

٨٨) نجد أمثلة متعددة في الأناجيل حول هذه المسألة.

وبما انه، دونما عقاب صعد الى السموات فليكن (قرارنا) كذلك:

[كل] ما ستسببه [ريح الجنوب] من شر للبشر

[وأي مر]ض ستضعه في جسم البشر

[مع ا]دابا سوف تتمكن نيكارراك(Nikarrak)[٨٩] من تهدئتهما

وعند [ذلك] فليتبدد الشر، وليبتعد المرض!

و[لكن] بدونه، لتأتِ الحمى المقرسة

[بحيث] لا يتمكن [المريض] من اخذ راحته في نوم هانئ!"[٩٠].

يتضح من هذا الاستعراض الأثر الكبير الذي تركته أسطورة ادابا في شخصية السيد المسيح كما أظهرتها الأناجيل. وإن التساؤل الذي يمكن طرحه هنا هو كيف وصلت أسطورة ادابا الى الأناجيل؟ لا يمكن الجزم بالطريق الذي وصلت فيه المؤثرات البابلية في الأناجيل، ولكن إن الشيء المؤكد إن كهنة بابليين كانوا يزورون فلسطين خلال عصر السيد المسيح، ونقرأ إشارة عن مثل هذه الزيارات: "لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، على عهد هيرودس، جاء الى أورشليم مجوس من المشرق وقالوا: أين هو المولود، ملك اليهود؟ رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له"[٩١].

لقد افترض باحث على الأقل إن المقصود بالمجوس في النص هم أولئك من رجال الدين الإيرانيين القدماء[٩٢].ولكن يبدو إن النص هنا يتحدث عن كهنة بابليين، ويمكن أن نقدم برهانا مفاده إن المقصود بمصطلح المجوس في اقل تقدير بالنسبة لكتبة العهدين القديم والجديد يقصد بهم الكهنة البابليون. فقد

---

٨٩) وهي إلهة الصحة والشفاء.

٩٠) أسطورة ادابا، اللوحD، الأسطر:١٢-٢٠.

٩١) متى٢: ١-٢.

٩٢) انظر هذا الرأي ومحاولة البرهنة عليه في:خليل عبد الرحمن، مقدمة كتاب الافستا، (دمشق:روافد للثقافة والفنون، ٢٠٠٨)، ص١٨-١٩؛ انظر كذلك:قاموس الكتاب المقدس، مادة:مجوس في http://www.albishara.org/dictionary.php

ذكر المجوس ككهنة الملك البابلي نبوخذنصر الثاني(٦٠٥-٥٦٢ قبل الميلاد) كما نقرأ: "وفي السنة الثانية من عهد نبوخذنصر الملك، حلم نبوخذنصر أحلاما أزعجته ومنعت عنه النوم. فأمر أن يدعى السحرة والمجوس والعرافون والمنجمون ليفسروا له أحلامه"[٩٣].وعندما عجز هؤلاء عن تفسير حلم نبوخذنصر يخبرون الملك: "فقال المنجمون أمام الملك: ما من إنسان في الأرض يقدر أن يبين ما يأمرنا به الملك، وما من ملك عظيم السلطان سأل ساحرا أو مجوسيا أو منجما عن أمر مثل هذا"[٩٤].ونمتلك دليلا خارجيا غير الكتاب المقدس يعطينا برهانا أخر حول ارتباط العرافين البابليين بكلمة المجوس، ففي بداية حكمة احيقار السريانية نقرأ قول احيقار الذي يقول: "عندما كنت أعيش في فترة حكم سنحاريب ملك نينوى، عندما كنت أنا احيقار خازنا وكاتبا، وكنت شابا، قال لي العرافون والمجوسيون والحكماء: لن يكون لك ولد"[٩٥].وعندما أراد أسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ قبل الميلاد) كما يذكر النص السرياني استشارة حكماء دولته في أمر ما فانه: "جمع كبار مملكته والحكماء والمجوسيين والعلماء"[٩٦].لذا يتضح لنا إن هؤلاء المجوس الذي كانوا يترددون على فلسطين هم صنف من أصناف المنجمون والعرافون البابليون. هذا وان ذكر بابل يرد بشكل مباشر في أدبيات العهد الجديد[٩٧].مما يشير الى وجود صلات بين بلاد الرافدين وفلسطين في القرن الميلادي الأول.

---

٩٣) دانيال٢: ١-٢.

٩٤) دانيال٢: ١٠.

٩٥) قاسم الشواف،ديوان الأساطير،(بيروت:دار الساقي،١٩٩٩)،ج٣،ص٣٧٢.

٩٦) المصدر نفسه،ص٣٩٢.

٩٧) انظر:رؤيا القديس يوحنا ١٤: ٨؛ ويرد اسم نهر الفرات الكبير،٩:١٤؛١٦: ١٢؛ويتحدث الإصحاح ١٨ عن ما يعرف بسقوط بابل.

٢.أسطورة ولادة الملك الفارسي دارا الأول(٥٢٢-٤٨٦):

إن الحصول على مصدر معاصر للدولة الاخمينية حول الأساطير الإيرانية القديمة غير ممكن بكل الأحوال، فالنصوص الإيرانية القديمة المعاصرة للدولة الاخمينية اغلبها ذات طابع سياسي، وكتابات ملكية بالدرجة الأولى، وان النص الأدبي-الديني الممكن استخدامه، والذي ربما يكون معاصرا للحقبة الاخمينية هو الافستا إلا انه لا يتضمن أساطير إيران القديمة إلا نادرا فهو يتحدث عن الديانة التي أسسها زرادشت، وتطورها من بعد وفاته. ورغم انه يطلعنا على أخبار بعض ملوك إيران الأسطوريين، إلا إننا لا نقرأ فيه أية إشارة عن ملوك الدولة الاخمينية لذا من الصعب استخدامه لمعرفة تاريخ هذه الحقبة.

مع ذلك فإننا ما زلنا نمتلك مصدر واحدا ذا طبيعة استثنائية، ولكن متأخر جدا عن الحقبة الاخمينية يمكن الاستفادة منه من اجل التعرف على الأساطير الإيرانية القديمة هو ما يعرف باسم الشاهنامة أو ملحمة الفرس الكبرى للشاعر الإيراني الفردوسي الذي عاش في القرن الحادي عشر للميلاد. والشاهنامة منظومة عظيمة مكونة من ستين ألف بيت، نظمها الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي. وقضى في نظمها أربعين سنة تقريبا، وأنهاها في حدود عام ١٠١٠م. وتكمن أهمية الشاهنامة بكونها مصدر يستقي منه الإيرانيون عقائدهم المتصلة بتاريخ شعبهم القديم[٩٨].وان نظرة جيدة في مضمون الشاهنامة يتضح منها إن مؤلفها رغم انه عاش في القرون الوسطى، إلا انه ينقل أساطير إيران القديمة، وان مقارنتها بالآداب الهندية-الأوربية القديمة(كالإلياذة)

---

[٩٨]) أدوار براون،تاريخ الأدب في إيران،ترجمة:احمد كمال الدين حلمي،(الكويت:ذات السلاسل،١٩٨٤)،ج١،ص١٨٩.

يمكن أن تقدم لنا اضاءات كثيرة عن هذه الملحمة وعبقرية شاعرها. ويمكن تشبيه عمل الفردوسي بالنسبة لتاريخ إيران مثل عمل فيرجيل في تاريخ روما.

في الشاهنامة يسرد لنا الفردوسي نصا أسطوريا حول ملك يدعى داراب(ربما دارا الأول)[٩٩] وتقول الأسطورة إن بهمن احد ملوك الفرس كانت له ابنة تدعى هماي الملقبة جهر أزاد التي تزوجها هو نفسه، ورزقت منه بابن. وفيما بعد تتسنم هماي العرش بعد وفاة بهمن. فلما جاءها المخاض ولدت صبيا قالت انه مات. ولما بلغ وليدها ثمانية أشهر، وضعته في علبة مملوءة بالجواهر، وشدت على عضده جوهرة لها قيمة عالية، ثم أمرت فألقي به في نهر الفرات، وعند النهر وجده قصار يغسل الثياب، فأخذه واتخذه ابنا عوضا عن ابنه الميت. وانتقل مع زوجته، وربيبه الى بلدة ثانية بعدما اسماه داراب لأنه وجده في الماء (داراب تعني في الماء).ويقول الفردوسي إن داراب تمنع عن مزاولة مهنة أبيه، وتعلم الفروسية وسرعان، وما ذاع صيته في الحروب، ومن ثم تتعرف عليه أمه هماي وتعطيه العرش[١٠٠].بلا شك إن أسطورة الطفل الملقى به في النهر هي أسطورة شائعة في أدب وادي الرافدين، والتي صيغت حول احد ملوك سلالة أكد، وهو سرجون الاكدي. ويمكن أن نقرأ فيها:

"أنا سرجون الملك العظيم، ملك بلاد أكد
كانت أمي كاهنة عظمى
وأنا لا اعرف أبي
كان شقيق أبي يحب التلال
ومدينتي أزوبيرانو(Azupiranu)
التي تقع على ضفاف الفرات

---

٩٩) انظر هذه المطابقة في:المصدر نفسه،ج١،ص١٩٩.

١٠٠) ابو القاسم الفردوسي،الشاهنامة:ملحمة الفرس الكبرى،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٧٩)،ص١١٥-١١٧.

لقد حملتني أمي وولدتني سرا

ووضعتني في سلة من البردي ختمت غطاءها بالقير

ومن ثم رمتني في النهر الذي لم يغمرني

فحملني النهر وأخذني الى الغراف اككي (Akki)

فاتخذني الغراف اككي ابنا له

وجعلني الغراف اككي بستانيا عنده

وعندما كنت بستانيا منحتني عشتار حبها

فاضطلعت بالملوكية أربع و[خمسين] عاما"[١٠١].

من غير شك هناك تماثل كبيرة بين الأسطورتين، ففي أسطورة سرجون الاكدي تتخلص منه أمه لأنها كاهنة عظمى يمنع عنها الإنجاب، مثلما فعلت والدة دارا عندما تخلصت من وليدها ولكن هنا لا يذكر السبب. وكان نهر الفرات هو النهر الذي رمي إليه الطفلان؛ وفي الوقت الذي انتشل سرجون الغراف اككي، انتشل دارا قصار كان يغسل ثيابه في النهر. وكلا البطلين تسلما السلطة من امرأة الإلهة عشتار بالنسبة لسرجون، وهماي في حالة دارا. وكانت هماي ملكة في حين على الأرجح كانت والدة سرجون من أسرة ملكية، فالمعروف في وادي الرافدين إن الكاهنات من هذه الدرجة كن من الأسر الملكية، فقد قام الملوك بتكريس بناتهم لهذا المنصب، والخدمة في معابد الآلهة مثلما فعل سرجون الاكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ قبل الميلاد)،عند عين ابنته المدعوة اينخيدواننا لمنصب الكاهنة العليا لمعبد الإله سين في أور[١٠٢]،ونابونائيد(٥٥٥-٥٣٩قبل

---

(١٠١) حول أسطورة سرجون الاكدي انظر:

E.A Speiser, The Legend of Sargon,In:ANET,P.119

لابات،المعتقدات الدينية،ص٣٦٤-٣٦٦؛علي،سومر،ص٢٤٤-٢٤٥.

(١٠٢) بتي دي شونك ميدر،صلوات انهيدوانا:انهيدوانا سرجون الأكدي الكاهنة السومرية الكبرى وأول شاعرة في العالم،ترجمة:كامل جابر،(بغداد:منشورات الجمل،٢٠٠٩)،ص٨٤-٨٥.

الميلاد)عندما عين ابنته بيل-شلتي-ناننار، في نفس المنصب في معبد الإله سين في أور[١٠٣].ومع ذلك هناك اختلاف بين الأسطورتين، ففي الوقت الذي أكدت فيه الأسطورة البابلية على إن سرجون ورث مهنة أبيه، وأصبح بستانيا نجد الأسطورة الفارسية تقول إن دارا رفض مزاولة مهنة والده ربما لزيادة الدور البطولي لهذا الملك وإبراز شجاعته. ولكن عنصرا أخر ذكر في أسطورة داراب لا نجد له مثيل في الأسطورة البابلية، فوالد دارا الذي وجده يسميه داراب أي في الماء، وهذا العنصر غير موجود في النص البابلي، فهل إن هذا المورد من الأسطورة اختلاق الفردوسي نفسه أم مقتبس هو الأخر، وإذا كان مقتبسا فمن أين؟ لابد إن الفردوسي قد اقتبس هذه المسألة من أسطورة ولادة موسى الواردة في العهد القديم(وهذه الأسطورة بالأصل مقتبسة من الأدب الرافديني)، إذ تقول أسطورة موسى ابنة فرعون التي وجدت موسى سمته بهذا الاسم وقالت: "لأني انتشلته من الماء"[١٠٤].الحقيقة إن هذا الاسم مصري، وكما يرى الأستاذ ألقمني هو في المصرية مؤلف من مو(ماء) وسا(ابن) أي ابن الماء[١٠٥].

لا نعرف كيف وصلت هذه الأسطورة الى الفردوسي، ولكن وصول الأساطير والقصص القديمة الى مؤلفات متأخرة ليس بالأمر الغريب، وقد شخص مثل هذا الأمر في مؤلفات متأخرة، كما هو الحال مع الفردوسي مثل:

---

١٠٣) هديب حياوي عبد الكريم غزالة،الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نابونائيد في قيادتها،(رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الآداب،١٩٨٩)،ص١٦٧.

١٠٤) خروج٢: ١٠.

١٠٥) سيد ألقمني،الاسرائيليلت،(القاهرة:عربية للدراسات والنشر،٢٠٠٢)،ص٧٢،وحول معاني المقطعين المصريين انظر:أنطوان زكري،مفتاح اللغة المصرية القديمة وأنواع خطوطها واهم إشاراتها ومبادئ اللغتين القبطية والعبرية،(القاهرة:مكتبة مدبولي،١٩٩٧)،ص٨٣، ٩٠.

قصص ألف ليلة وليلة[١٠٦]،وعند ابن النديم في الفهرست يرد ذكر أسطورة تموز ولكن مدمجة مع أسطورة بعل الكنعانية[١٠٧].

---

١٠٦) لقد تم تشخيص اثر لقصة البابلي جميل-نينورتا في قصص ألف ليلة وليلة انظر:فاضل عبد الواحد علي،"من أدب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين"سومر،م٢٦،لسنة:١٩٧٠،ص٩٣-٩٤،طه باقر،مقدمة في أدب العراق القديم،(بغداد:دار الحرية للطباعةن١٩٧٣)،ص١٨٦-١٨٧؛علي،من ألواح سومر،ص١٨٦.

١٠٧) انظر:علي،من ألواح سومر،ص١٨٨.

الفصل الثالث

التكوين السكاني لإيران القديمة(١٠٨)

(١٠٨) نشر هذا البحث في دورية كان التاريخية/دورية الكترونية متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية/العدد:٨/لسنة:٢٠١٠.

www.historicalkan.co.nr

اولا: جغرافية إيران:

تقع إيران في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا وتعد هضبتها من الوجهة الطبيعية وحدة طبيعية واحدة(١٠٩).وهضبة إيران شبيهة بالمثلث تقع بين منخفضين طبيعيين هما: بحر قزوين شمالاً، والخليج العربي جنوباً، وهي كذلك محصورة بين: وادي نهر السند شرقاً، ووادي دجلة غرباً(١١٠)، أما الأجزاء الشرقية من هذه الهضبة فتؤلف إقليمي أفغانستان وبلوجستان(١١١)، وتشكل إيران حلقة الوصل بين آسيا الوسطى، وآسيا الغربية، كما إنها بمثابة جسر إلى آسيا الصغرى ثم إلى قارة أوربا(١١٢)، وتكاد تكون محاطة من كل جهاتها بالسلاسل الجبلية، فشمالاً تقع جبال كيلان، ومازندران الموازية لشواطئ بحر قزوين الجنوبية المتسلسلة نحو جبال هندكوش، ويحدها غرباً جبال أرمينيا، وجبال أذربيجان، وكردستان، والبختيارية، ويحدها شرقاً جبال خراسان ونهر ألاندوس ومن الجنوب يحدها الجبال الموازية للبحر العربي(١١٣).

تشكل جبال خراسان وامتدادها خراسان وبلوجستان الحد الجغرافي لهضبة إيران، وتشكل سلسلة جبال زاكروس المتصلة بطوروس الفاصل الغربي بين إيران وبين بلاد وادي الرافدين. وعلى الرغم من كون إيران محاطة من جميع جهاتها بسلاسل جبلية متفاوتة الارتفاع، لكن هذه الحواجز الجغرافية للهضبة لم تشكل حواجز طبيعية أمام انتقال الشعوب، والقبائل، والأفراد، كما أنها تتضمن مجموعة من الممرات وبعضها ذو شهرة تاريخية كبوابة آسيا، تسمح بالاتصالات بين داخل الهضبة، وبين المناطق المجاورة مما وراء السلاسل

---

(١) سالم أحمد محل، العلاقات العربية-الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨١)،ص٢٢.

110)R. Ghirshman, Iran,(London,1954),p.21;Sir Percy Sykes, History Of Persia,(New York,1958),Vol,1,p.1.

(١١١) طه الهاشمي، التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة،(بغداد: مطبعة دنكور الحديثة،١٩٣٧)،ص٢٧٦ ؛طه باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص١٥.

112) Ghirshman,Iran,p.21

(١١٣) الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص٢٧٦.

الجبلية[114].يوجد في بلاد إيران مجموعة من السلاسل الجبلية التي ترتفع حول صحراء كبرى هي (دشتي لوط)[115] وأهم هذه السلاسل هي:

١.سلسلة جبال زاگروس:

تسمية زاگروس هي التسمية العامة للسلسلة الجبلية التي تنفصل عن طوروس، وتعرف هذه السلسلة بعدة مسميات، فهي تعرف بجبال كردستان وبعض أقسامها تسمى لورستان، وأقسام أخرى تعرف باسم بختياري، وتعرف هذه السلسلة بـ(السلسلة الغربية)[116].ويكون اتجاه سلسلة جبال زاگروس شمالي غربي إلى جنوبي شرقي، وطول السلسلة (٦٢٠) ميلاً، وعرضها (١٢٠) ميلاً، ويتراوح ارتفاعها بين (٣٢٨٠) و(٥٥٧٠)، ويخترقها عدة أودية طولها يتراوح بين (٣٠-٦٠) ميلاً، وعرضها بين (٦-١٢) ميلاً، وجبال زاكروس شاهقة الارتفاع[117]. ويتجه من السلسلة الوسطى لجبال زاكروس ذراع نحو وادي الرافدين باتجاه جبال حمرين الأمر الذي شكل نقطة ضغط طبيعية وتاريخية مؤثرة على نهر دجلة جعله يقترب من الفرات عند بغداد، اذ تصبح المسافة بين النهرين لا تتجاوز أكثر من (٢٠-٢٥) ميل[118]. لقد شكلت سلسلة جبال زاگروس نقطة الارتباط بين أرمينية والأناضول، وبين منطقة قزوين وسهول عيلام[119]. وتمثل جبال زاگروس الحدود الجغرافية الفاصلة بين هضبة إيران، وبين وادي الرافدين[120]. وترتبط بلاد وادي الرافدين ببلاد إيران عن طريق ممرات جبلية

---

[1]) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم: إيران والأناضول،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، بلا ت)،ص٧-٨.

[2]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،(بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة،١٩٥٦)،ج٢،ص٣٧٣.

[116]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٣؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨.

117) Ghirshman,Iran,P.21;

الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨.

118) Ghirshman,Iran,P.21;

باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص١٦.

[119]) الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٩.

[120]) المصدر نفسه، ص٨.

من جبـال زاگروس، ويقـع أول تلـك الممـرات في رايـات قـرب راونـدوز، والثـاني في حلبچـة إلى الجنـوب الشـرقي من السـليمانية، والثالـث في خـانقين. وتؤدي ممرات رايـات، وحلبچـة إلى سـواحل بحيرة أورميـة وأذربيجـان. أمـا طريـق خـانقين فإنـه يتجـه نحـو كرمنشـاه وهمـدان وصـولاً إلى الهضـبة الإيرانيـة. وثمـة ممـر رابـع وهـو يسير بمحاذاة جبال زاگروس من مدينـة الـدير (تلـول العقـر قـرب بـدرة) لتصل إلى مدينـة سوسـة عاصمة عيـلام[١٢١].وفي أقصى شـمال سلسـلة جبـال زاگروس تقـوم بحيرة (وان) وهي منطقـة أقـوام الأورارتـو الـتي تمتـد اليـوم في شـرق تركيـا، حيـث تفـرغ بعـض الأنهـار المنحـدرة مـن زاگروس صـوب الشـمال مياههـا في هـذه البحيرة. وفي شـرق سلسـلة جبـال زاگروس تقـع بحيرة أورميـة الـتي تتلقـى بـدورها الميـاه المنحـدرة صـوب الشـرق مـن جبـال زاگروس. وتأخـذ جبـال زاگروس عنـد جنـوب أورمية بالضـيق، وقلة الارتفاع حتى تتلاشى عند نقطة بـدرة- جصـان على الحـدود العراقيـة الإيرانيـة، حيـث تبـدأ بعـدها سـهول سوسـيانة الشـهيرة[١٢٢].

٢.سلسلة جبال البورز:

تقـــع فـــي الجـــزء الشـــمالي مـــن إيـــران، ويبلـــغ ارتفاعهـــا (١٩٠٠٠)قـدم[١٢٣]،وتعـرف في أغلـب الأحيـان باسـم السلسـلة الشـمالية، ويـرد اسمها في المصادر الآشورية باسم ديماوند[١٢٤].ويتاخم هذه السلسلة بحر قزوين في سـواحله الجنوبية[١٢٥]،وإن محـاذاة هـذه السلسـة لبحـر قـزوين جعلتـه يحصـر بينـه وبـين السـاحل منطقـة سـاحلية تعـد مـن أشـهر المنـاطق الخصـبة في إيـران. وتمتـد السلسـلة الجبليـة غربـاً لتحـاذي أذربيجـان الـذي تقـع داخلـه بحيـرة

---

[١٢١]) فاضل عبد الواحد علي، "صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية المجاورة لـبلاد وادي الرافـدين ٢٥٠٠-٢٠٠٠ق.م"،بحـث ضـمن كتـاب الصـراع العراقي-الفارسـي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٢٦-٢٧.

[١٢٢]) المصدر نفسه،ص٩.

123) Ghirshman,Iran,P.22.

[١٢٤]) باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٦.

[١٢٥]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٤.

أورميـة[١٢٦]. أمـا الامتـداد الشـرقي لجبـال البـورز فيعـرف بجبـال خراسـان، وهي جبـال قليلـة الارتفـاع سـهلة العبـور. والسلسـلة بجانبيها الغربي والشـرقي تعـد مـن مراكـز الاسـتقرار الكثيفـة. وإلى الجنـوب مـن السلسـلة الشـرقية يقـع نطـاق جبـال هنـدكوش الـذي يقـع في ضـمنها إقليمـا أفغانسـتان وبلوجسـتان، وسلسـلة جبـال هنـدكوش وعـرة، مرتفعـة، وفيهـا ممـرات تـربط تركسـتان الصـينية بأواسـط لآسـيا من جهـة وإيـران، والهنـد من جهـة ثانيـة. وعبر جبال هنـدكوش يمـر طريـق الحريـر الشـهير، كـذلك تعـد وديـان الأنهـار التي تخترق المنطقـة طرق مواصلات جيـدة في نطـاق هنـدكوش مـا بـين إيـران وكابلسـتان. لـذلك أصـبحت ممـرات بـولان في بلوجسـتان، وخيبر في كابلسـتان، ومجموعـة ممـرات أخـرى في نطـاق هنـدكوش في حيز أفغانسـتان، وسـائط عبـور رئيسـية صـوب الهنـد، وأواسـط آسـيا، والصـين، كما ربطت من ناحية أخرى المناطق المذكورة في غربي آسيا[١٢٧].

٣.سلسلة جبال مكران:

هي السلسـلة الجنوبيـة مـن جبـال إيـران، وتضـم ممـرين الأول: يـؤدي إلى منطقـة بنـدر عبـاس عنـد خلـيج عمـان، والثـاني: يقـود إلى بلوجسـتان[١٢٨].

فضلاً عن السلاسل الجبلية العالية يوجد في هضبة إيران نوع آخر من التضـاريس المتمثلـة بالصـحارى الكبرى. وأبـرز هـذه الصـحاري هي صـحراء دشـتي كـافر، وجنوبهـا دشـتي لـوط، وتقـع هـذه الصـحاري في مركـز الهضـبة. وكانـت مجموعـة السلاسـل الجبليـة الأنفـة الـذكر هي الـتي تحـيط بالهضـبة الـتي تضـم هـذه الصـحاري القاحلـة الشـديدة التطـرف في درجـات حرارتهـا، ولـذلك فهي بمثابـة حـواجز طبيعيـة بين جوانـب هضـبة إيـران، وتعـد مـن أشـد صـحاري العـالم جفافـاً وملوحة حتى عدها بعضهم أشـد جفافاً مـن صـحاري آسـيا الوسـطى مثـل: صـحراء كوبي. وتنعـدم في هـذه الصـحاري كـل ملامـح الحيـاة، وبالتـالي يتعـذر على الإنسـان

---

[١٢٦] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٢.

[١٢٧] المصدر نفسه،ص١٢-١٣.

128) Ghirshman, Iran,P.23.

اجتيازها. وسميت هذه الصحاري في المصادر العربية البلدانية فيما بعد باسم مفازه يزد(١٢٩).

إن هذه البيئة الصعبة جعلت الإنسان من القدم يستوطن المناطق السهلية، والوديان الخصبة، والواحات. ومن أبرز مناطق استيطان الإنسان في إيران هي السهول الجنوبية لجبال زاگروس الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من إيران، وهي منطقة سوسة أو شوشة التي عرفت تاريخيا ببلاد عيلام. وتبلغ مساحة السهل العيلامي حوالي ٢٤,٠٠٠كم، ويعد من الناحية الجغرافية والحضارية امتداداً لسهل وادي الرافدين الأسفل(١٣٠).

يخترق السهل العيلامي من الشمال إلى الجنوب وبصورة متوازية تقريباً ثلاثة أنهار هي: الكرخة الذي عرف في المصادر المسمارية باسم (Uqnu)(اللازورد) الذي اشتهر قديماً بنقاوة مياهه وعذوبتها، ثم نهر (الدز)، ونهر (الگارون)،وعرف هذا الموقع في المصادر المتأخرة لتاريخ إيران، لاسيما المصادر العربية باسم الأحواز أو خوزستان(١٣١).

إن منطقة سوسة في كثير من خصائصها ومناخها لتشبه القسم الجنوبي لبلاد وادي الرافدين، إذ يرتبط بها من خلال المسطحات المائية (اهوار الحويزة) التي تمتد غرباً لتحاذي نهر دجلة في بعض أقسامه عند محافظة ميسان حالياً، حيث تستطيع أدنى وسائط النقل الشائعة في المنطقة، وهي المشاحيف الانتقال من مكان إلى آخر بحرية كاملة. كما أن الشقة الأرضية بين منطقة البصرة، وبين سهول الأحواز (عيلام) تمنح الحرية التامة للاتصالات بين

---

129) Ghirshman, Iran,P.23-24;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٧٥؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٤؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛قحطان عبد الستار الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٧)،ص٢٤.

130) V. Gordon Childe, New Light Of the Most Ancient East, (London,1935), P.250.

باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛علي، صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية،ص١٧.

(١٣١) علي، صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية،ص٢٩؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٤.

الجانبين. وتطل سهول الأحواز على الأقسام الشمالية الشرقية لرأس الخليج العربي، ويصل نهر الگارون الذي يقدم من أواسط هذه السهول إلى مسافة قريبة من رأس الخليج العربي، حيث يصب اليوم في شط العرب جنوب البصرة بمسافة قليلة[١٣٢]. ومن المدن المهمة التي اشتهرت في تاريخ إيران مدينة سوسة، وإقليم فارس، وهو الإقليم الذي عرف عند كتاب الإغريق باسم (Persis)، ويعتقد أستاذ (لي سترنج) أن كلمة (Persia) مشتقة من الكلمة اليونانية (Persis)[١٣٣].إلا أن ذلك غير صحيح فقد وردت كلمة (Parsua) في المصادر الآشورية قبل المصادر الإغريقية بحدود خمسة قرون كما سنرى لاحقاً.

يشرف إقليم فارس على ساحل الخليج العربي، ويغلب على الإقليم طبيعة المنطقة الجبلية، ومنها سلسلة تحاذي ساحل الخليج العربي، وتمنع حرية الانتقال بين طرق المواصلات البحرية وبين داخلية إقليم فارس إلا من خلال ثغرات طبيعية قامت عندها مراكز موانئ رئيسية أهمها: بندر عباس الذي يقع عند مضيق هرمز، والآخر بوشهر ويقع عند الأقسام الشمالية للخليج العربي. وشهد الإقليم عدة مدن مهمة قديمة منها: بزرگادة، وبرسيبولس، واصطخر؛ وحديثة منها: يزد، وكرمان، وأصفهان، وبوشهر، وبندر عباس. والإقليم بصورة عامة قليل الأمطار شديد الحرارة نسبياً[١٣٤].

إن أبرز العوارض الطبيعية في إقليم فارس هي بحيرة بختيكان الكبيرة وماؤها المالح[١٣٥].ومن المدن المهمة في إيران أيضاً: مدينة همدان، وتبريز شمالها. ومدينة همدان هي هگمتانا في الكتابات الاخمينية، وذكرت في المصادر الإغريقية أكبتانا، وسميت في المصادر العربية همدان من ضمن إقليم الجبال[١٣٦].وإقليم همدان هو عاصمة دولة ميديا التي قامت في إيران في القرن السابع قبل

---

[١٣٢] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٠-١١.

[١٣٣] لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد،(بغداد: مؤسسة الرسالة، ١٩٥٤)،ص٢٨٣.

[١٣٤] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١١.

[١٣٥] الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٥.

[١٣٦] لي سترنج، بلدان الخلافة الشرقية،ص٢٢٩ ؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٩؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٤.

الميلاد[١٣٧].أما شرق إقليم فارس فيأتي إقليم كرمان، وهو أقل من إقليم فارس في الخصوبة، وذلك لخلوه من الأنهار تقريباً، ولوقوعه على صحراء إيران الكبرى، الا ان أشهر الظواهر الطبيعية هي هضبة إيران العالية الواقعة في وسط إيران التي تكون الصحراء الكبرى، وهي صحراء مقفرة مترامية الأطراف، وفي هذه المفازة توجد بعض الواحات القليلة، وتغطي الأملاح رقعة واسعة من سطحها المحدب[١٣٨]. أما إقليم مكران فهو يتاخم الهند من الجهة الشرقية، ويرتقي المرتفعات المشرفة على وادي الأندس الذي يسمى قسم منه اليوم سجستان[١٣٩].
ومن الأقاليم المهمة التي استوطنها الإنسان الإقليم الذي يقع بين جبال البورز وبحر قزوين، ويعد من أخصب مناطق إيران. وفي شمالي طهران الحديثة تقع مدينة مرو القديمة[١٤٠].فضلاً عن ذلك يوجد عدد كبير من المدن التاريخية التي قامت على السفوح الجبلية في الأراضي السهلية منها: قزوين، وطهران، والري، وهراة، حيث تعتمد في حياتها على مياه الأمطار المتساقطة إلى زاكروس والبورز[١٤١]. أما أذربيجان الإيرانية فتقع عند نهاية امتداد جبال البورز الغربية، حيث تشهد المنطقة كثافة سكانية عالية بسبب: خيراتها الزراعية، وخصوبة أراضيها، وتقع في هذا الإقليم بحيرة أورمية المالحة. ويتيح هذا الإقليم حرية الحركة في كافة الاتجاهات، وتتصل بأذربيجان عن طريق الشمال بأرمينية، وعن طريق الغرب من خلال منطقة أرضروم ببلاد الأناضول[١٤٢].

مناخ إيران عموماً مناخ بارد شتاءً، وحار جاف صيفاً، مع وجود بعض المناطق الممطرة عند سواحل بحر قزوين وجبال البورز، حيث تكون كمية الأمطار السنوية الساقطة غزيرة، وجيدة التوزيع على مدار السنة، بينما تتمتع

---

[١٣٧] روبرت فيفر، "الإمبراطوريات الأولى في أفريقيا وآسيا، ترجمة: مصطفى محمد الأمير، بحث ضمن كتاب موسوعة تاريخ العالم،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بلا ت)،ج١،ص٩٠.

[١٣٨] الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٢٥

[١٣٩] المصدر نفسه،ص٢٥-٢٦.

[١٤٠] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٥؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص١٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٢.

[١٤١] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص١٥.

[١٤٢] المصدر نفسه،ص١٢.

سواحل إيران القريبة من الخليج العربي بمناخها الحار الرطب وتعرضها أحيانا لهبوب الرياح الموسمية [١٤٣]،وبسبب مناخ إيران المتسم بقلة الأمطار أصبح النبات الطبيعي محدوداً في انتشاره، ومع ذلك ثمة بعض الغابات في كردستان ولورستان، كما توجد كثير من المراعي الجبلية في أذربيجان، وكردستان، وفارس الشمالية، حيث تكون أشجارها من نوع الأشجار النفيضة الكثيفة مثل البلوط والدردار[١٤٤].

ثانياً: التركيبة السكانية في إيران.

لقد عاش الإنسان في بلاد إيران منذ أقدم العصور، وكان معظم السكان قد اختلطوا من أجناس متعددة حتى غدا من الصعب تمييز أصولهم الأولى. غير أن التنقيبات الاثارية، والمصادر المدونة أسهمت كثيراً في تزويدنا بمعلومات كثيرة عن الإنسان الذي استوطن إيران، ومن أبرز الأقوام التي سكنت إيران:

١.المستوطنون الأوائل:

يمكن إطلاق تسمية المستوطنون الأوائل على أولئك المجموعة من البشر الذي استوطنوا إيران من أقدم الفترات في تاريخها منذ العصر الحجري القديم، إذ عاش إنسان هذا العصر في الملاجئ الجبلية في إيران، وكان إنسان همجياً أعتمد في حياته على جمع القوت عن طريق التقاط الجذور والنباتات البرية. وقد عثر لإنسان هذا العصر على بقايا في كهف تنگي بابدا في جبال بختياري إلى الشمال الشرقي من شوشتر. ويعود عمر الإنسان الذي عاش في هذا العصر إلى نحو (١٠٠,٠٠٠) سنة مضت[١٤٥].كما عثر على بقايا إنسان العصر

---

[١٤٣] محل، العلاقات العربية-الساسانية،ص٢٣.

[١٤٤] محل، العلاقات العربية-الساسانية،ص٢٣.

[١٤٥] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٢٧٩؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٢١؛سامي سعيد الأحمد وجمال رشيد أحمد، تاريخ الشرق القديم،(بغداد:مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨)،ص٣٦٠؛أنظر كذلك:

E. Sundeland, "Early Man In Iran", In, CHI, Vol,I,PP.395ff.

الحجري القديم في كهف بهستون، وكهف تامتاما (قرب بحيرة أورمية)، وكهف كامابند (كهف بيليت) المشرف على بحر قزوين(١٤٦).

كانت معظم أدوات هذا الإنسان تخص الصيد، ومصنوعة من أحجار الصوان والعظام(١٤٧).

شهد الشرق الأدنى القديم في حدود الألف الثامن قبل الميلاد، التحول الاقتصادي الخطير في العالم القديم إلا وهو اكتشاف الزراعة، وتدجين الحيوان، وقد عرف هذا التحول باسم العصر الحجري الحديث، ويحدد الأستاذ ساكز إن هذا الانقلاب حدث في المنطقة الواقعة من فلسطين حتى سلسلة جبال زاكروس(١٤٨).وقد أبانت التحريات الاثارية الشيء الكثير عن بقايا الإنسان الذي عاش في هذا العصر في عدة مواقع منها تبة سيالك(١٤٩)،كذلك في مواقع باكون، وتبة هزار، وتبة كيان(١٥٠).وخلال الألف الربع قبل الميلاد ازدهرت مواقع مهمة تعود لإنسان العصر الحجري المعدني، ولاسيما في سوسة، ومن أبرز ميزات هذا العصر التأثيرات الواضحة العراقية على إيران في عصر العبيد، وعصر الوركاء، وعصر جمدة نصر وأصبح زحم الحضارة العراقية واضحاً(١٥١).

---

(١٤٦) الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٣٩-٤٠.

(١٤٧) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٧٩.

(١٤٨)هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، (بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٧٩)،ص٢٦؛أنظر كذلك: هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري،(بيروت :منشورات دار مكتبة الحياة، بلا.ت)،ص٤١-٤٢.

(١٤٩) عن موقع سيالك وبقاياه أنظر:

Ghirshman, Iran,PP.28-35.

(١٥٠) تقي الدباغ ووليد الجادر، عصور ما قبل التاريخ،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣)،ص١٨٠-١٨٣.

(١٥١) ساكز، عظمة بابل،ص٤٨.

٢.العيلاميون:

سمي العيلاميون من قبل الباحثين بهذا الاسم نسبة إلى بلادهم المسماة بلاد عيلام الواقعة في السهول الجنوبية الشرقية من إيران، وهو امتداد لسهول العراق الطموية الجنوبية[١٥٢].واطلق على بلاد عيلام في المصادر السومرية اسم (NIM) الذي يعني: النجد أو الأرض المرتفعة، وسمي في المصادر الاكدية باسم (Elamtu)(ايلامتو)، في حين أطلق العيلاميون على أنفسهم اسماً يختلف تماماً عن ذلك، إذ ذكر في المصادر المسمارية العيلامية بهيئة: خابرتي (Ḫa-pir-ti)، ويجوز قراءة العلامة الوسطى بهيئة (Tam) فتصبح خاتامتي (Ḫa-tam-ti)[١٥٣]، في حين يرد الاسم في التوراة بهيئة عيلام[١٥٤].أما المصادر الفارسية المتأخرة فيرد الإقليم بهيئة (Uvaja) أو(Huvaja)، ومنه الكلمة العربية خوز، أو خوزي، وحويزة أي: إقليم خوزستان. في حين ذكرته المصادر الكلاسيكية باسم عاصمته سوسيانة[١٥٥].

لا نعرف أموراً مؤكدة عن أصل العيلاميين وجل ما يمكن قوله بهذا الصدد أنهم لم يكونوا من الأقوام الهندية-الاوربية، ولعل أصلهم من المنطقة الجبلية من جبال زاگروس، وهي منطقة تتاخم سهول عيلام في الشمال الشرقي وكذلك في سهول وادي الرافدين[١٥٦].

ذكر العيلاميون في المصادر العراقية القديمة منذ عصر فجر السلالات في إثباتات الملوك السومرية، وحتى عهد الدولة البابلية الحديثة (٦٢٧-

---

[١٥٢] الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٥١.

[١٥٣] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٨٠؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٢٥؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٥١؛ طالب حبيب منعم الشمري، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد،(رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٦)،ص٢٦٧.

[١٥٤] تكوين، ١٠:٢٢.

[١٥٥] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٨٠.

[١٥٦]باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٢٦.

٥٣٩ ق.م) في نصوص الملك نبوخذنصر الثاني عندما هاجمهما عام ٥٩٥ق.م[١٥٧].

٣.اللولوبو والگوتيون:

اللولوبو(Lulubu)من الأقوام الجبلية المستوطنة في جبال زاكروس، ويحتل إقليم اللولوبو الطريق المؤدي من بغداد إلى كرمنشاه، ثم إلى همدان وطهران. وقد وصل اللولوبو في تحركاتهم إلى سهل شهرزور قرب السليمانية[١٥٨].ونعرف عن قدم العلاقات مع هؤلاء اللولوبو، إذ هاجمهم سرجون الأكدي(٢٣٧١-٢٣١٦ قبل الميلاد)، كما توغل حفيده الملك نرام سين(٢٢٠٩-٢١٥٥ قبل الميلاد) في أراضيهم، وانتصر عليهم، وأقام منحوتة كبيرة نحتت على الصخر في أعالي جبال قره داغ عند ممر دربندي گاور[١٥٩].ونعرف من إحدى الكتابات أسم ملك من ملوك اللولوبو يدعى انو-بانيني (anu-baninni) الذي تحدثت أسطورة متأخرة عن كونه سوط البلاد، وكان من القوة بحيث تمكن من أن يقيم مسلة نصر باسمه، غير أن حقيقة كتابة تلك المسلة باللغة الاكدية يؤكد انتشار تأثير الحضارة الاكدية حتى بين أعدائها[١٦٠].

لا نعرف الكثير عن اللولوبو بعد فترة الحكم الأكدي إلا بعض الإشارات، إذ نعرف أن نبو خذ نصر الأول(١١٢٦-١١٠٣ قبل الميلاد) هاجم قبائل اللولوبو في منطقة قره داغ[١٦١].ويخبرنا الملك ادد-نيراري(١٣٠٥-١٢٧٤

[١٥٧] حياة إبراهيم محمد، نبوخذنصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٤٣.

158) Ghirshman, Iran,P.53;

جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، مراجعة فاضل عبد الواحد علي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤)،ص١٤٩.

[١٥٩]) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٨٦؛ساكز،عظمة بابل،ص٧٠؛رو،العراق القديم،ص٢١٤،وحول حرب نرام –سين لأقوام اللولوبو أنظر: رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين: مختارات من النصوص البابلية، ترجمة: الأب ألبير أبونا ووليد الجادر،(بغداد:مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨)،ص ٣٦٧-٣٧٦.

[١٦٠] ساكز، عظمة بابل،ص٧٠.

[١٦١] المصدر نفسه،ص١٠٣.

قبل الميلاد) الأول بأنه دحر جموع اللولوبو[١٦٢].كما أخبرنا توكلتي-نينورتا الثاني(٨٩٠-٨٨٤ قبل الميلاد) بأنه هاجم مواقعهم[١٦٣].

أما الگوتيون(Guti) فقد سكنوا جنوب مواطن اللولوبو، وتمركزوا من مناطق همدان وما جاورها من المناطق وسط جبال زاگروس[١٦٤]،وذكر الگوتيون في المصادر المسمارية إلى جانب اللولوبو[١٦٥]. وكان الگوتيون من ضمن اللذين دحرهم نرام سين في هجومه الشهير على اللولوبو[١٦٦].ويعود انهيار الإمبراطورية الاكدية في حدود ٢٢٣٠ق.م إلى هجماتهم العنيفة[١٦٧].وخلال العهد الآشوري الوسيط نعرف من الملك أرك - دين – أيلي(١٣١٩-١٣٠٨ قبل الميلاد) قد هاجم مواطنهم[١٦٨]،كما هاجمهم الملك ادد-نيراري الأول أثناء عملياته العسكرية ضد اللولوبو[١٦٩].وقد تمكن الملك شلمنصر الأول(١٢٧٤-١٢٤٥ قبل الميلاد) من إخضاع بلاد الگوتيين[١٧٠].ويرد الگوتيون في مدونات توكلتي–نينورتا الأول باسم (Uqumeni) وإنه تمكن من إخضاعهم[١٧١]،كما هاجمهم الملك

---

(١٦٢) ورد اسم اللولوبو في نص ادد-نيراري الاول بصيغة(Lulumî)انظر:

ARAB,Vol,1,No.73;

انظر كذلك: ساكز، عظمة بابل،ص٧٤..

(١٦٣) سامي سعيد الأحمد، سميراميس،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)،ص٢٦.

(١٦٤) رو، العراق القديم،ص٢١٣-٢١٤.

165)Ghirshman,Iran,p.53.

(١٦٦) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٨٦.

(١٦٧) ساكز، عظمة بابل،ص٧١؛فوزي رشيد، نرام سين،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٩٠)،ص١٠٥-١٠٦.

(١٦٨) هاري ساكز، قوة آشور،ترجمة: عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص٧٣.

169) ARAB,Vol,1,No.73;

المصدر نفسه،ص٧٤.

170) ARAB,Vol,1No.125;

رو، العراق القديم،ص٣٥٣.

(١٧١) كوزاد محمد أحمد، توكلتي نينورتا: منجزاته في ضوء الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٢)،ص١٢٣-١٢٤؛ساكز، قوة آشور،ص٨١-٨٢.

آشور-ريش-أيشي(١١٣٣-١١١٦ قبل الميلاد)[١٧٢]،ويخبرنا الملك ادد-نيراري الثاني بأنه أخضع الگوتيين لسلطته[١٧٣].

٤.الكاشيون:

ينتمي الكاشيون إلى مجموعة الأقوام التي عرفت في التاريخ باسم الأقوام الهندية-الأوربية، الذين هاجروا من موطنهم الأصلي فيما وراء القوقاز متجهين نحو منطقة الشرق الأدنى القديم [١٧٤].وقد بدأت بوادر خطرهم منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد[١٧٥].أما كلمة كاشيون فلا نعرف مصدرها بالضبط، وربما أن تسمية هذه المجموعة بهذا الاسم متأتي من الكلمة البابلية كاششو(Kaššu)، والتي تعني البأس والقوة، وربما تكون هذه الكلمة مأخوذة من أسم إلههم القومي الذي يعرف بنفس الاسم[١٧٦].

استوطن الكاشيون بادئ الأمر في الجزء الأوسط من سلسلة جبال زاگروس الذي يعرف حديثاً باسم (لورستان) الواقع جنوب همدان. وكان يجاورهم من جهة الشمال أقوام الگوتيون، واللولوبيون. ولا نمتلك معلومات كثيرة عن تنظيمهم السياسي، غير أنهم لم يقوموا بدور فاعل في مناطق الشرق الأدنى حتى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وقد أخذوا يزحفون بالتدريج نحو العراق سالكين طريق وادي دجلة. ويبدو أن لتحركهم باتجاه العراق ناتج عن ضغط أقوام الگوتي، واللولوبو، عليهم. وقد استقروا أخيراً في الفرات الأوسط عند منطقة عانة. وقد حاولوا أول مرة غزو أرض بلاد الرافدين في عهد سمسو-ايلونا(١٦٨٦-١٦٤٨ قبل الميلاد) ملك بابل، إلا أن محاولتهم فشلت[١٧٧].

---

[١٧٢] ساكز، عظمة بابل،ص١٠٤.

[١٧٣] ساكز، قوة آشور،ص١٠٧.

[١٧٤] الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص١١٤؛ساكز عظمة بابل،ص٩٠؛سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الأحمد،(بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠)،ص١٨٦-١٨٧.

[١٧٥] رو، العراق القديم،ص٣٣٢.

١٧٦) الشمري، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم،ص١٥٥.

177) Ghirshman,Iran,P.64;

تمكن الكاشيون من تأسيس سلالة حاكمة في وادي الرافدين في أعقاب غزو الحيثيين لبابل عام ١٥٩٥ ق.م وانسحابهم منها، وعرفت سلالتهم الحاكمة باسم سلالة بابل الثالثة[١٧٨].وقد بقي قسم من هؤلاء الكاشيون ساكنين في المناطق الجبلية من جبال زاگروس، إذ يخبرنا الملك نبو خذ نصر الأول أنه هاجم مناطق الكاشيين الجبلية[١٧٩].لا نمتلك حالياً نصاً مدون بأكمله باللغة الكاشية، بل توجد لدينا نصوص أكدية تحتوي على مفردات وتعابير كاشية. واللغة الكاشية لغة إلصاقية تعود إلى مجموعة أسيوية واسعة تتصل من بعيد باللغة العيلامية. إلا أن وجود آلهة الهندية-أوربية في مجمع الآلهة الكاشي يدل على ارتباطهم بالهندو-أوربيين، مثل: شورياش(سوريا في الهندو-أوربية)، وماروتاش (ماروت)، وبورياش (ربما نفسه بورياس إله الريح الشمالية عند الإغريق)، جنباً إلى جنب الآلهة الكاشية(كاشو-شيباك-هاربا-شوماليا-شوكامونا)[١٨٠].

٥.الميديون:

يعد الميديون أحد الموجات السكانية التي تداولت نوعاً من اللغات الهندية –الأوربية، وهاجرت ضمن الهجرات الواسعة لهذه القبائل، ودخلوا بلاد إيران في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، أو مطلع الألف الأول قبل الميلاد. وإن المعلومات الواردة عن هذه القبائل محصورة في ما ذكرته المدونات الآشورية بالدرجة الأولى، وان الأخبار التي ذكرها هيرودوت عن الدولة الميدية وتطوراتها

الهاشمي، التاريخ والحضارة،ص١١٤؛ ساكز، عظمة بابل،ص٩٠؛ رو، العراق القديم،ص٣٣٢؛ محمد صبحي عبد الله، في العصور القديمة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)،ص٩٧-٩٨.

[١٧٨] حول غزو الحيثيين لبابل وسلالة بابل الثالثة أنظر:

Robert William Rogers, A History of Babylonia and Assyria(New York,1902),Vol,1,PP.398-424 ;

عبد الله، العلاقات العراقية-المصرية،ص٩١.

[١٧٩] ساكز، عظمة بابل،ص١٠٤.

[١٨٠] رو، العراق القديم،ص٣٣٣.

تعد مهمة في هذا المجال، فضلاً عن المعلومات التي دونها لنا الملوك الأخمينيين اللاحقين للفترة الميدية(١٨١).

من خلال الدراسة الدقيقة يمكن تتبع حدود الميديين واستقرارهم في إيران، إذ شملت مواقع سكناهم بمعناه الواسع الأراضي الواقعة شمال نهر آراس وجبال البورز، وكما سكنوا باتجاه غرب سلسلة جبال زاگروس، ويمكن تقسيم بلادهم إلى ثلاثة أقسام وهي:

١.ميديا أتروباتين: شملت المقاطعات الشمالية لنهر آراس ماراً إلى الجنوب الى حد جبال الوند، وضمت مناطق بحيرة أرومية، ونهر جغتو، وما تحيط به من أنهار، وكذلك حوض نهر سفيدرود الذي يقطع جبال البورز قرب مدينة رشت ويصب في بحر قزوين، وبهذا احتوى هذا القسم من ميديا كل بلاد: أذربيجان، وكردستان الحالية.

٢.ميديا الصغرى: وشملت بعض المناطق المتموجة التي تقع بين سلسلتين جبليتين اتصلتا بجبال البورز التي تمتد من الجنوب نحو بحر قزوين في الشمال وأعلى جبل في هذه المنطقة هو ديماوند.

٣.ميديا بارتياكينا: وهي المنطقة الواقعة بين سلسلتين من الجبال تبدأ بجبل رود وتلتقيان في النهاية بجبال زاگروس، ويمر بهما نهر زودك وكانت تحد هذه المنطقة قديماً بلاد أورارتو في الغرب مع أرمينيا في وقت متأخر(١٨٢).

فضلاً عن ذلك فقد استمر الميديون في اندفاعهم، إذ وصلوا إلى حدود أصفهان على مشارف بلاد عيلام غير أن العيلاميون تمكنوا من صدهم(١٨٣).

أول إشارة تاريخية مهمة عن القبائل الميدية جاءتنا من السجلات الآشورية، اذ يشير الأستاذ أبو مغلي بأن تجلاتبلزر الاول قام سنة ١١٠٠ق.م

---

181) Richard N. Frye, Iran, (London ,1954),P.33;
عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم،(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،١٩٦٧) ج١،ص٥٥٠؛ باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨١؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤.

(١٨٢) الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤-٣٦٥.

(١٨٣) باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٨.

بمهاجمة الميديين وإخضاعهم[184]. وفي القرن التاسع قبل الميلاد، ذكر الميديون أثناء حملة شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) على إيران، إذ ذكر القبائل الميدية في السنة الرابعة والعشرين من حكمه أي عام ٨٣٦ ق.م، ونستنتج من حملة شلمنصر الثالث أن القبائل الميدية كانت ما تزال في طور البداوة، غير مستقرة، تعيش في منطقة همدان الحالية، وقد ذكرت هذه القبائل في المدونات الآشورية بصيغة (Madai).ويجب أن نعرف خلال الإشارات الواردة عنهم أن التسمية (Madai) لا تعني في كل الأحوال أسم ذا مدلول قومي في المدونات الآشورية، إنما تسمية جغرافية تدل على تركز هؤلاء في جزء من إيران. ويبدو أن هدف حملة شلمنصر الثالث على الميديين هو من أجل إظهار قوة الدولة الآشورية من جهة ، ولوقوع مواطن الميديين على الطريق القديم الذي يجلب من خلاله اللازورد من أفغانستان إلى بلاد الرافدين[185].

نقرأ من أخبار الملك الآشوري شمشي-ادد الخامس(٨٢٣ -٨١٠ ق.م) عن هجوم قام به على جهات إيران، ويذكر أنه دحر زعيم إيراني في منطقة تقع إلى الشمال من بحيرة أرومية مع ١٢٠٠ من قراه المحصنة، ويذكر أنه استمر في تقدمه فدخل منطقة الميديين الذين هربوا خوفاً منه، وإنهم اعتصموا بجبل في منطقتهم أسماه في نصوصه الجبل الأبيض، ودخل مدينتهم ساكبتينا، ويمكن تحديد تاريخ هذه الحملة بحدود عام ٨٢٠ ق.م[186]. وبعد وفاة شمشي-ادد

---

١٨٤) محمد وصفي أبو مغلي، إيران دراسة عامة،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥)،ص٨٤.

185) ARAB, Vol,1 ,No.581; Ghirshman, Iran,P.90; Sykes, History Of Persia, Vol,l,P.117;Clemnt Huart, Ancient Persia & Iranian Civilization, (London,1972),P.25; Alessandr O.Bausani, The Persians, (London, 1971), P.13;A.T.Olmstead,History Of Persian Empire(Chicago,1948),P.22;

ساكز، عظمة بابل، ص ١١٧ ؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٧؛ساكز قوة آشور،ص١١٦.

186)ARAB,Vol,1,No.720;Ghrishman,Iran,P.90;Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.17;Huart, Ancient Persia,P.27;

باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٨ ؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢؛الأحمد،سميراميس،ص٦٨؛سامي سعيد الأحمد، "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (٩٣٣-٣٣١)ق.م"، بحث ضمن كتاب الصراع العراقي –الفارسي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٦٢.

الخامس تولى العرش أبنه ادد-نيراري الثالث(٨١٠-٧٨٣) ق.م وقد كان قاصراً فتولت أمه شمورامات الوصاية عليه لمدة خمس سنوات[(١٨٧)].وقد شهد عهد الوصاية بعض الحملات العسكرية على الميديين، إذ نعرف أن الجيوش الآشورية تمكنت من دحر جيوش ميدي يبدو إنه استغل فرصة تربع صبي على العرش ووصاية امرأة عليه فاخترقوا الحدود الآشورية ولكنهم ردوا على أعقابهم[(١٨٨)].ونعرف من حوليات ادد-نيراري الثالث عن قيام الأخير بعدة حملات عسكرية على الميديين خلال الأعوام ٨٠١-٧٩٥-٧٩٠-٧٨٧ق.م[(١٨٩)].وفي نص يذكر فيه إنه أخضع بلاد ميديا[(١٩٠)].

لقد أصاب الدولة الآشورية بعض الركود في أعقاب وفاة ادد-نيراري الثالث، وبرزت دولة أورارتو التي أخذت تعمل على جذب الزعماء الإيرانيين إلى جانبها ضد الآشوريين[(١٩١)].ولكن وصول تجلاتبلزر الثالث(٧٤٥-٧٢٧ ق.م)لحكم الدولة الآشورية كان بداية التحول العالمي في السيادة الآشورية، وقد تمكن من تحطيم أورارتو في عهد ملكها ساردورس الثاني أعقب ذلك، هجوم تجلاتبلزر على الميديين التي كانت تحركاتهم قد وصلت إلى شهرزور، وإن وصولهم إلى هذه المنطقة معناه أنهم ساروا على طول الضفة الغربية لنهر ديالى، واستمروا بموازاة نهر سروان. وتذكر حوليات الملك تجلاتبلزر الثالث، أسماء بعض الأمراء الإيرانيون الذين اصطدم بهم وتعرض الغنائم الكثيرة التي حملها منهم، وقد تغلغل تجلاتبلزر بعيداً في عمق إيران حتى وصل جبل بيكني (ديماوند قرب طهران)، وحدود صحراء الملح الكبرى، وذكر عدد من المدن والقلاع التي وقعت في قبضته كانت منها مدينة شيلكا التي قد تكون موقع سيالك الحالية قرب طهران. كما ذكرت حولياته بلاد النيشاي (منطقة كيان الحالية) والمعروفة بالسهول النيسية إلى الجنوب من طريق همدان. وقد عمل تجلاتبلزر على تعمير المناطق

---

(١٨٧) باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ج١،ص٥٠٧.

(١٨٨) الأحمد،الصراع،ص٦٢-٦٣.

(١٨٩) الأحمد،سميراميس،ص١٩٩.

190) ARAB,Vol,1,No.739.

(١٩١) الأحمد،الصراع،ص٦٢.

التي دمرتها المعارك وتنظيمها في وحدات إدارية، وفعلاً أظهرت التنقيبات في قمة موقع كيان بقايا قصر آشوري محصن، وأخبرنا إنه جلب في حملته هذه ٦٥,٠٠٠ ألف أسير ميدي أسكنهم قرب نهر ديالى على طول الحدود الآشورية وأسكن بدلهم في ميديا أراميين[١٩٢]. وتسجل الحوليات الآشورية في عهد تجلاتبلزر الثالث على حصول الآشوريين من منطقة باتوشار عند سفح جبل بيكني على اللازورد، وإنها إحدى المصادر المهمة للمعادن. وقد فرض تجلاتبلزر الثالث على المناطق الشرقية من ميديا جزية مقدارها تسعة أطنان من حجر اللازورد[١٩٣].

في عهد شلمنصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م)،بدأت حملته على مملكة إسرائيل التي استمرت ثلاث سنوات، إذ تم فرض الحصار على السامرة، غير أن المدينة فتحت في عهد سرجون الآشوري(٧٢٢-٧٠٥)ق.م ثم تم نقل سكانها نحو بلاد ميديا[١٩٤]. وفي عهد سرجون برز أحد زعماء القبائل الميدية وهو دياكو، ويعتقد الأستاذ أبو مغلي إنه حاكم قبيلة مناي[١٩٥]،وقد هاجم سرجون دياكو وقبيلته بعد تحالف الأخير مع دولة أورارتو، ويظهر أن قوة سرجون الآشوري كانت تفزع دولة أورارتو فدفعها إلى خلق دولة حاجزة بينها وبين الدولة الآشورية، وقد تمكن سرجون من دحر الميديين، ونفى دياكو إلى حماة في سوريا، كما قام سرجون بقيادة حملة ثانية على الميديين عام ٧١٤ق.م، وكذلك عام ٧١٣ق.م حيث أخضع (٤٢) زعيما ميدياً كان بعضهم يقطن منطقة همدان[١٩٦].

---

192)Olmstead, History Of Persian Empire,PP.22-23;Huart, Ancient Persia,P.27;

باقر واخرون المصدر السابق،ص٣٨؛الأحمد،الصراع،ص٦٣-٦٤.

[١٩٣] نينيل يانكوفسكا، "بعض القضايا الاقتصادية في إمبراطورية آشور"، بحث ضمن كتاب العراق القديم، ترجمة: سليم طه التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦)،ص٣٩٧-٣٩٨.

[١٩٤] الملوك الثاني،١٧:٦، ١٨: ١١.

[١٩٥] أبو مغلي، ايران،ص٨٥.

196)Sykes, History of Persia,Vol,1,PP.118-122; Huart, Ancient Persia,P.28.

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٩١؛الأحمد، الصراع،ص٦٥.

لقد تزعم القبائل الميدية بعد دياكو ابنه خشاثريتا الذي يحدد بعض الباحثين تاريخ حكمه ما بين (٦٥٥-٦٣٣)ق.م[١٩٧]،في حين يجعل الأستاذ رو سنوات حكمه تبدأ من عام ٦٨٠ ق.م[١٩٨]. ويرى الأستاذ أولمستد إنه حكم ما بين (٦٧٥-٦٥٣ق.م)[١٩٩].ويبدو أن الرأي القائل إنه حكم ٦٨٠ ق.م أو ٦٧٥ ق.م هو الأرجح، إذ أن المعروف أن خشاثريتا قد قتل أثناء هجومه على نينوى عام ٦٥٣ ق.م وإنه حكم (٢٢) سنة[٢٠٠]، وهذا يسقط فرضية حكمه عام ٦٥٥ ق.م.

إن انشغال الملك سنحاريب(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد) في الجهات الأخرى من الإمبراطورية جعلت الزعيم الميدي خشاثريتا يعمل على إنجاز الوحدة الميدية التي ضمت إلى جانب الميديين كل من المانيين والگمريين. وقد سار خشاثريتا على سياسة ضم القبائل الضعيفة إلى دولته حتى ضم قبائل فارس الذين كانوا يسكنون جنوب إيران[٢٠١]،ولكن يبدو أن خشاثريتا لم يكن مسيطراً على كل القبائل الميدية كما سيتضح لاحقاً من معاهدة أسر حدون(٦٨٠-٦٦٨ قبل الميلاد) مع بعض القبائل الميدية، ويظهر إن الإدارة الأشورية قد تزايد اهتمامها في عهد أسر حدون بإقليم ميديا، إذ يمكن أن نقرأ في كتابات الملوك الآشوريين عن كميات الجزية من الأغنام والمواشي المأخوذة من إقليم ميديا[٢٠٢].وكذلك يحدثنا هيرودوت عن القيمة التي اشتهرت بها الخيول النيسية في ميديا[٢٠٣]. ويبدون أن الميديين الآن أخذوا يشكلون قوة مؤثرة لذلك نجده في عام ٦٧٢ ق.م يعمل على توقيع معاهدات تبعية مع تسع أمراء معظمهم من الميديين، وهي لا تختلف عن بعضها البعض الا بأسماء الحكام الذين عقدت معهم، وكان عقد

---

197) Huart, Ancient Persia,P.30.

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج٢،ص٣٩٣،الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص١٧.

[١٩٨] رو، العراق القديم،ص٤٣٦.

199) Olmstead, History Of Persian Empire,P.29.

[٢٠٠] باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٣٩.

[٢٠١] الأحمد،الصراع،ص٦٥؛أبو مغلي، المصدر السابق،ص٨٦.

[٢٠٢] يانكوفسكا، بعض القضايا الاقتصادية في إمبراطورية آشور،ص٤١٣.

[٢٠٣] جورج كونتنيو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩)،ص١٠٤.

هـذه المعاهـدات مـن أجـل تنظـيم ولايـة العهـد الآشـوري، ولـم تصـلنا مـن هـذه المعاهدات إلا المعاهـدة التي وقعهـا أسـرحدون مع حـاكم أركزبـانو الميديـة المدعـو راماتايا(Ramataia)(٢٠٤).

في عهـد أشـوربانيبال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م) قـدم الميديون المسـاعدة للمـانيين في تمردهم على بلاد أشـور، لذلك توجهت حملة عسكرية أشـورية لتأديب القبائل الميدية حيث أسـفرت الحملة عـن اسـتيلاء الآشـوريين على عـدد من المدن القويـة في هـذا الإقلـيم، وأسـر الجـيش الآشـوري عـدد مـن الأمـراء الميـديين الـذين تمـردوا عليـه(٢٠٥).ونعـرف مـن قيـام خشـاثريتا بمهاجمـة نينـوى عـام ٦٥٣ ق.م غيـر أن الهجـوم فشـل، وقتـل خشـاثريتا في المعركـة أعقـب ذلـك خضـوع بـلاد ميـديا لسيطرة الأسكثييـن نحـو ما يزيـد عـن عشـرين سـنة . وفي عـام ٦٢٥ ق.م تمكـن كي أخسار ابن خشاثريتا من التخلص من الحكم الاسكيثي(٢٠٦)، وكانت الامبراطورية الاشـورية قد اخذت بالانحلال في اعقاب وفاة اخر ملوكها الاقوياء اشـوربانيبال، وفي عـام ٦٢٦ قبـل الميلاد وصـل نابوبلاصـر لعـرش بابـل، وبـدأ يعمـل على خـوض حـرب تحرير صعبة، وشاقة ضـد الاشـوريين، والـذي يهمنـا مـن الامـر هنـا هـو الـدور الميدي في الحرب، ففي عام ٦١٥ قبل الميلاد هاجم نابوبلاصر مدينة اشـور، ولكـن اخبار التعبئة الاشـورية افزعته فانسحب مع نهر دجلة الى مدينة تكريت وتحصن في قلعتها المنيعة. واستطاع بعد تحالفه مع البابليين من إسـقاط الدولـة الآشـورية عـام ٦١٢ ق.م(٢٠٧).وغـدت الدولـة الميديـة في عهـد كي أخسـار إمبراطوريـة واسـعة فشـملت: ميديا، وفـارس، وبلاد أشـور، وتخـوم آسـيا الصـغرى، وقـد دخلـت في نـزاع

---

(٢٠٤) أنظر نص هذه المعاهدة:

D.J. Wiseman, “The Vassal Traits Of Esarhaddon”, Iraq.Vol,20,part.2.1958.PP.1ff.

انظر كذلك:الخالدي،التطورات الداخلية في بلاد بابل،ص١٠١-١٠٣.

(٢٠٥) ريـاض عبـد الـرحمن امـين الـدوري، اشـوربانيبال، (بغـداد: دار الشـؤون الثقافيـة العامة،٢٠٠١)،ص٩٤.

(٢٠٦) باقر واخرون، تاريخ ايران القديم،ص٤٠.

(٢٠٧) حول النص الذي يروي احداث سقوط الدولة الآشورية والدور الميدي أنظر:

A. Leo Oppenheim, ”Babylonian and Assyrian Texts”, In ANET,(Princeton,1966) PP.303-305.

مع دولة ليديا الذي انتهى بتدخل بابل في ٢٨ أيار ٥٨٥ ق.م، وتوقيع معاهدة صلح بين الطرفين[٢٠٨].وتوفي كي أخسار عام ٥٨٤ قبل الميلاد، وخلفه على العرش ابنه استياگز (٥٨٤-٥٥٠ ق.م)، وانتهى عهد الأخير على يد كورش الاخميني عام ٥٥٠ق.م[٢٠٩].

٦. الفرس:

الفرس من القبائل الهندو أوربية التي قدمت بلاد إيران في مطلع الألف الأول قبل الميلاد. وكانت هذه القبائل قد هاجرت من موطنها في جنوب روسيا، وقد استقروا في بادئ ذي بدء في المنطقة الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحيرة أرومية، وإلى حدود جبال ديماوند شمال طهران[٢١٠].ولدى الإيرانيون روايات تقول أن هجرتهم من موطنهم الأصلي كان بسبب كثافة الثلج مما جعله غير صالح للسكن، وهذا الكلام يعني أن تغير المناخ جعلهم يهاجرون إلى الجنوب، وذهبت هذه الروايات إلى القول بأنهم عندما أجبروا على الهجرة بسبب شدة البرد ذهبوا إلى: سوغدة (بخارى)، ومورو (مرو)، ولكن أعدائهم أجبروهم على ترك هاتين المنطقتين، فرحلوا إلى إقليم باخذي (بلخ)، ومن بلخ ذهبوا إلى (نيساية) (نيسابور)، وكانت المراحل الأخيرة من الهجرة هي هريو (هرات) ثم واي كرت (كابل)[٢١١].

إن أقدم ذكر للفرس في المصادر الآشورية يعود للقرن التاسع قبل الميلاد، حيث ذكروا في كتابات الملك شلمنصر الثالث(٨٥٨-٨٢٤)ق.م عام ٨٤٤

---

208) T.F.R.G. Braun, “The Greeks In The Near East“, In :CAH, (Cambridge , 1982),Vol,III, Part,3, P.23.

209) Olmstead, History Of Persian Empire, P.34;Sykes,History Of Persia,Vol,1,P. 131-132.

٢١٠) باقر واخرون، تاريخ العراق القديم،(بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٠)، ج١، ص٢٥٧؛ باقر واخرون، تاريخ إيران القديم، ص٤٥؛ رضا جواد الهاشمي، "تاريخ العلاقات العراقية-الإيرانية القديمة"، مجلة دراسات الأجيال، العدد٤، لسنة ١٩٨٠، ص ٩٤؛ الأحمد، الصراع، ص٦٢؛ الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٣٦٤؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص٨٢.

٢١١) أبو مغلي، ايران، ص٨٢-٨٣.

ق.م، إذ شارت إلى الفرس باسم (Parsua)[٢١٢].ونقرأ عن حملة أرسلت من قبل شلمنصر الثالث عام ٨٢٨ ق.م بقيادة أحد قادته وهو دايان-آشور إلى أقصى شمال العراق حيث غزا موصاصير (عند أعالي نهر الزاب الكبير)، وهاجم حدود دولة أورارتو، وعاد عن طريق مدن فارس[٢١٣].وفي حدود عام ٨٢٠ ق.م أرسل شمشي-ادد الخامس (٨٢٣-٨١٠) ق.م حملة عبرت الزاب الكبير، والجبال التي تليه والتي سماها كوللار إلى بلاد نائيري (جنوب غربي بحيرة وان)، وأخذ الجزية من المانيين والفرس. وقد أخضع شمشي-ادد المنطقة الواقعة شرق وأواسط جبال زاگروس، ودفع الفرس في منطقة اردلان الجزية إلى شمشي-ادد[٢١٤].وتخبرنا حوليات الملك أد نيراري الثالث أن الفرس كانوا خاضعين له[٢١٥].

نعرف أن الفرس في حدود عام ٨٠٠ق.م قد هاجروا من مركزهم في الجنوب الغربي من بحيرة أرومية وساروا باتجاه الجنوب تحت ضغط الأورارتيين وسكنوا منطقة سقز وهي حالياً في كردستان إيران، ومع هجرتهم فإن خضوعهم للآشوريين قد استمر في منطقتهم الجديدة[٢١٦].وفي عهد الملك تجلاتبلزر الثالث (٧٤٥-٧٢٢) تم إرسال حملة على القبائل الفارسية التي دفعت الجزية للملك الآشوري[٢١٧]،وفي عهد سرجون الآشوري (٧٢٢-٧٠٥) ق.م نعرف أن الفرس قد استمروا في خضوعهم للسيادة الآشورية حتى عام ٧١٤ ق.م[٢١٨].

تشير المعلومات إنه في حدود ٧٠٠ ق.م بدأت القبائل الفارسية تستقر في السهول الممتدة على طول جبال بختياري قرب الگارون في الجزء الجنوبي الغربي من إيران. وفي السهول القريبة من منطقة عيلام أسست القبائل

---

212)Ghirshman,Iran,P.90;Sykes, History of Persia,Vol,1,P.117;Bausani,The Persians,P.14.
باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥؛الأحمد،الصراع،ص٦٢؛الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم،ص٣٦٤؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢؛الأحمد،سميراميس،ص٦٠.

(٢١٣) الأحمد،سميراميس،ص٦٢.

(٢١٤) الأحمد،سميراميس،ص٦٧؛الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢.

215) ARAB,Vol,1,No.739.

(٢١٦) باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥.

(٢١٧) الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم،ص٨٢

(٢١٨) باقر واخرون، تاريخ إيران القديم،ص٤٥.

الفارسـية دولتهـا الأولـى، وكانـت تسـمى بارسـوماش أو بارسـواش (Parsumaš/Parsuaš)، وقد قامت الإمبراطورية الفارسية على ثلاث مجموعات من القبائل الفارسية هي:

المجموعة الأولى: وتضم قبائل باسركاد، ومرفي، وماسبي.

المجموعة الثانية: وتضم قبائل بانتالي، ودروسي، وكرماني.

المجموعة الثالثة: وتضم قبائل دائي، ومرد، ودروبيك، وساكرتي.

إن المعلومات المتناثرة عن تأسيس الفرس لدولتهم الأولى تشير إن ذلك قد حدث بعد اتحاد القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وتزعم هذه الدولة رجل أسمه على أغلب الظن أخمينس أو هاخمانيش، وبذلك يكون تسمية الأخمينيين هي نسبة أخمينس، وقد سميت هذه الدولة أحياناً باسم الدولـة الهخامنشـية نسـبة إلـى هاخمـانيش. وكـان جـد الأسـرة الحاكمـة اخمينس/هاخمانيش من قبيلة باسركاد الفارسية. ومن المحتمل جداً أن فترة حكم هذا الملك كانت ما بين الربع الأخير من القرن الثامن، وحتى بداية السابع قبل الميلاد. ويعتقد كذلك بأن مقر حكم الملك أخمينس كان يقع في سهول جبال بختياري، ويبعد مسافة ٤٠كم من شوشتر. وبعد تأسيس الدولة الفارسية بفترة قصيرة بدأ الفرس بالتسلل إلى منطقة عيلام في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت دولة عيلام ضعيفة فلم تستطيع التدخل في استيطان القبائل الفارسية في جزء من ممتلكاتها، ولا يمكن البت إذا ما كان الفرس قد اعترفوا بسلطة العيلاميون عليهم أم لا، ولكن يعتقد الى حد ما ان العيلاميين أخضعهم لسلطتهم، إذ أن النصوص الملكية العيلامية أشارت إلى دفع القبائل الفارسية الجزية لحكام سوسة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على دخولهم الفترة المذكورة تحت السيادة العيلامية وتمردهم على السلطة الآشورية(٢١٩).

---

219) Sykes, History Of Persia,Vol,1,P.142;Huart, Ancient Persia,P.34.

باقر واخرون،تاريخ ايران القديم،ص٤٥-٤٦؛باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٥٧٤؛ج٢،ص٣٩٨؛ باقر واخرون، تاريخ العراق القديم،ج١،ص٢٥٧؛أبو مغلي، ايران،ص٨٨-٨٩؛ألحديثي، دراسات في التاريخ الساساني،ص٤٢.

في عـام ٦٩١ ق.م تحـالف الفـرس مـع البـابليين وكـان يقـودهم الثـائر البـابلي موشـيزب-مردوك(Mušêzib-Marduk) الـذي يعـرف في المصـادر الاشـورية باسـم شـوزوبو(Šuzubu)، والآراميـين، وملـك عـيلام خمبـان-نيمينـا (Ḫumban-Nimena) الـذي ورد في المصـادر الآشـورية باسـم (Umman-Minanu)، وحـاربوا سـوية الملـك الآشـوري سـنحاريب(٧٠٤-٦٨١ قبـل المـيلاد) في موقعـة خالولـة (Ḫalule): "وطلـب مسـاعدة(أي شـوزوبو) مـن بـلاد بارسـواش..."، انتهـت المعركـة بانتصار ساحق للقوات الآشورية،ومن المرجح أن أخمينس كان يقـود الفـرس في معركة خالولة في حين كان ابنه جيشبش(تايسبس) يحكم أنشان، ويحمل لقب الملك العظيم[٢٢٠]. ويبـدو أن جيشـبش قـد حكـم في حـدود ٦٧٥ ق.م وحتى عـام ٦٥٠ ق.م، وإن كان هناك من يرى إنه حكم إلى سنة ٦٤٠ق.م، ويروي هيرودوت أن هـذا الملـك مـع اسـتقلاله عـن العيلاميـين إلا أنـه اضـطر إلى الاعتراف عـام ٦٧٠ق.م بسـيادة الميـديين على مملكتـه في عهـد فـراورتيس (خشـاثريتا) ،وبعـد مهاجمـة فـراورتيس للدولـة الآشـورية ومقتلـه وخضـوع بـلاده للاسـكيثيين تمكـن جيشـبش مـن احـتلال منطقـة فـارس (Parsa) التي كانـت مسـكونة مـن قبـل العيلاميـون سـابقاً. وبعـد وفـاة جيشـبش انقسـمت مملكتـه بـين ولديـه الأول: كورش(٦٤٠-٦٠٠ق.م) الـذي عـرف عند البـاحثين باسـم كورش الأول، وقـد حكـم المنـاطق الغربيـة مـن مملكـة الفـرس على امتـداد حـدود بـلاد عـيلام أي منطقـة أنشـان، والثـاني هـو آريـارامنس (٦٤٠-٥٩٠ ق.م) وقـد حكـم منطقـة فـارس، ويـدعي آريـارامنس وأن الإلـه (اهـورامزدا) أعطـاه حكـم فـارس في حـين يلقـب كـورش الأول نفسـه بلقـب الملـك العظـيم، ملـك بـلاد أنشـان. غير أن مسـألة تـولي آريـارامنس العرش على منطقة فارس أمر لم يثبت صحته حتى الوقت الحاضر. إذ أن اللـوح

---

[٢٢٠] انظر النص الكامل لمعركة خالولة في:

ARAB,Vol:2,No.252-254;

انظر كذلك:الأحمـد والهاشـمي، تـاريخ الشـرق القـديم،ص٨٦؛الخالـدي،التطورات الداخليـة في بـلاد بابـل،ص٩١، ٩٣؛ حـول تفاصـيل معركـة خالولـة ومناقشـتها أنظـر: سـاكز، عظمـة بابـل،ص١٥٢-١٥٣؛ساكز، قوة آشور،ص١٤٩؛ ٣٦٤-٣٦٥.

الـذهبي المـدون بـالخط الاخميني المسـماري والـذي يحتـوي على ألقـاب الملـك آريارامنس مشكوك في أصالته(٢٢١).

إن تحـرر الفـرس مـن سـيطرة الميـديين دفعهـم للعمـل بمفـردهم، إذ نجدهم يتحالفون مع شمش-شوم-أوككن أخو الملك أشوربانيبال المتمرد على أخيه، إذ أرسل إلى كورش الأول مساعدة عسكرية إلى الأول، غير أن انتصارات أشوربانيبال الباهرة في عيلام التي كانت متحالفة مع شمش-شوم اوككن دفعت كورش الأول إلى مهادنة أشوربانيبال فأرسل أبنه اروككو (Arukku) إلى نينوى ليعلن ولائه لأشور. وما أن تولى كي-أخسار العرش الميدي حتى تمكن من إعادة سيطرته على الفرس، وبعد وفاة كورش الأول خلفه على العرش ابنه قمبيز الأول، أما آريارامنس فقد حكم من بعده أرشاما (أرساميس) ويبدو أن قمبيز عمل على إزاحة ابن عمه أرشاما عن ممتلكاته ويظهر إن ذلك قد تم بموافقة الميديين(٢٢٢). وكان قمبيز قد لقب نفسه بلقب (الملك العظيم، ملك بلاد أنشان) ،وقد تزوج قمبيز من ابنة الملك الميدي المدعوة مندانة وقد أثمر هذا الزواج إنجاب أعظم ملوك هذه السلالة إلا وهو كورش الكبير(٢٢٣).

221) Olmstead, History Of Persian Empire,P.29; Bausani, The Persians,P.14;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص٣٩٩؛ باقر واخرون، تاريخ إيران القديم، ص٤٦-٤٧؛ رو، العراق القديم، ص٥١٣؛ الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٣٧١؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني، ص٤٢.

(٢٢٢) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١، ص ٥٧٥، ج٢، ص٣٩٩ ؛باقر واخرون، تاريخ ايران القديم، ص٤٧؛ الأحمد، الصراع، ص٧٧؛ الأحمد وأحمد، تاريخ الشرق القديم، ص٣٧١؛ الأحمد والهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص٩٠.

223) Olmstead, History Of Persian Empire,P.34;Bausani,The Persians,P.17;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص٣٩٩-٤٠٠؛ مؤيد سعيد، "العراق خلال عصور الاحتلال" ،بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، (بغداد-دار الحرية للطباعة ،١٩٨٣)، ص٢٣٥-٢٣٦.

الفصل الرابع

الشرق الأدنى القديم تحت حكم الاسكندر المقدوني

(٣٣٤-٣٢٣ قبل الميلاد)[٢٢٤]

[٢٢٤]) نشر البحث في مجلة الاستاذ/كلية التربية/جامعة بغداد/العدد:١١٨/لسنة: ٢٠١٠.

في عام ٣٣٤ قبل الميلاد تحرك الاسكندر المقدوني من بلاد اليونان نحو الشرق، وفي غضون ثلاثة أعوام تمكن من تحطيم الإمبراطورية الاخمينية واحتلال مناطق الشرق الأدنى التي كانت خاضعة للفرس، وظهور إمبراطورية إغريقية لأول مرة في تاريخ اليونان. في هذا البحث ستتم معالجة القضايا الخاصة بالشرق القديم وأهمها كيف اتسمت سياسة الاسكندر تجاه مناطق الشرق الأدنى؟ وما هو موقف هذه المناطق من حكم الاسكندر المقدوني؟ وما هي النتائج الفعلية لاحتلال الاسكندر للشرق القديم؟.

١.سياسة الاسكندر المقدوني في الشرق الأدنى.

لا نعرف الكثير عن إجراءات الاسكندر الإدارية، ويعتقد الأستاذ اندرو روبرت برن إن الاسكندر لم يأت بجديد في معظم الترتيبات الإدارية التي قام بها. وقد اخذ بكل بساطة، النظام الفارسي في تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات(سترابيات)،ووضع في المناصب الحكومية الرئيسة من يعتمد عليهم من المقدونيين واليونانيين[٢٢٥].ولا نمتلك معلومات حول إذا ما كان الاسكندر قد عمل على إجراء بعض الإصلاحات على النظام الفارسي القديم، وربما كان ينوي تحقيق مركزية اكبر في إمبراطورتيه عن طريق تقطيع أوصال السترابيات القديمة إلى وحدات اصغر يسهل إدارتها، وبذلك يكون قد استبق تطورا طبقه السلوقيون فيما بعد بتقسيم السترابيات إلى ايبارخيات(إقليم أو مقاطعة).ونعرف إن الاسكندر قلل من سلطات الستاربة فسلبهم حق جباية الضرائب، وكذلك سك العملة إلا مع استثناءات قليلة في بابل. بينما كان حكام القلاع الرئيسة في أيدي حكام مسئولين مباشرة أمام الاسكندر نفسه. وكان من حق أي فرد من أفراد الرعية يكون قد أصابه ظلم أن يرفع الأمر إلى الاسكندر

---

٢٢٥) اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، ترجمة: محمد توفيق حسين، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩)، ص٤٣٩.

مباشرة كما هو الحال في مقدونيا. وتشير المصادر إلى وجود طبقة من الموظفين عرفت باسم المشرفون الماليون التابعون للإسكندر، وكانوا يؤلفون عنصراً جديداً له وزنه وأهميته. وكانت هذه الوظيفة تشكل حلقة الوصل بين الملك والمزارع. ولكننا لا نعرف شيئا عن العلاقة التي تربط بين هؤلاء المشرفين الماليين وبين الستراب في الولاية، ولا نعرف أيضاً كيف كان حكام الولايات يحصلون على ما يلزمهم من الموارد والأموال الضرورية للصرف على الإعمال الإدارية في ولاياتهم(٢٢٦).كانت من ابرز أعمال الاسكندر الإدارية يمكن أن نلاحظها في مسألتين هما:

-سك النقود.

-تأسيس المدن الجديدة.

بالنسبة للمسألة الأولى: نعرف إن الاسكندر المقدوني عمد إلى سك النقود في المناطق المحتلة، وكانت المشكلة التي واجهت الاسكندر تنطوي حول كيفية التوفيق بين العملة العشرية السائدة في فارس على أساس إن الدارك الذهبي يساوي عشرون شاقلا من الفضة، وبين العملة ذات الفئة الاثني عشرية من عهد فيليب الثاني، على أساس إن الاستاتر الذهبي الواحد طبقاً للمعيار الاتيكي يساوي أربعة وعشرين دراخمة فضية بحسب المعيار الفينيقي. لذا قام الاسكندر بتوحيد العملة وجعلها من الفضة، واتخذ المعيار الاتيكي أساساً له، وجعل الاستاتر مساوياً لعشرين دراخمة فضية. وقد بقي الاسكندر محافظا على استخدام دور السك الفارسية القائمة باستثناء صور وغزة(ولا نعرف سبب ذلك ولكن ربما يكمن السبب في إن المدينتين قد تعرضتا للتدمير من جراء مقاومتهما للإسكندر)،وكانت دار السك في امفيبوليس(في مقدونيا) الأكثر أهمية في

---

٢٢٦) و.و. تارن،الاسكندر الأكبر،ترجمة:زكي علي،مراجعة:محمد سليم سالم،(القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،١٩٦٣)،ص١٩٦-٢٠٠.

الإمبراطوريـــة تليهـــا مدينـــة بابـــل، ثـــم تجـــئ بعـــد ذلـــك المجموعـــة الفينيقية(صيدا،بيبلوس،عكا،دمشـــــــــــــــق)،ثم المجموعــــــــــــــــة الكيليكية(طرسوس،الإسكندرية القريبة من أيسوس،قبرص)،وهناك دار سك النقود في الإسكندرية في مصر. ولابد وان الإشراف على دور السك التابعة كان للموظفين الملكيين. وقد قرر الاسكندر عدم فرض العملة الجديدة على المراكز التجارية الكبرى مثل فينيقيا، وكيليكيا، وبابل، حيث كان مسموحاً لها بسك العملة القديمة(٢٢٧).

كانت النقود على الطراز الإغريقي، وقد ضرب الاسكندر نقوداً ذهبية ولكن الغالبية منها كانت فضية، حيث أصبحت الدراخمة الوحدة القياسية، واصدر أيضا تترا دراخم أي الأربع دراخمات، وعملات صغيرة تمثل أجزاء الدراخمة، وسكت أيضاً نقوداً من البرونز أو النحاس. وقد أورث الاسكندر تصميماً خاصاً للنقود حيث فضل نقش رأس اله جانبي متجها إلى اليمين على وجه المسكوكة، ووضع صورة لإله كاملة مع كتابة على الظهر(٢٢٨).

وفيما يخص المسألة الثانية فقد عمل الاسكندر على تشييد سلسلة من المدن الجديدة، ولكن كانت معظم المدن التي أنشأها، والتي سميت باسمة الإسكندرية، إنما أنشأها لهدف عسكري صرف. لذا كانت تلك المدن مستوطنات لجنوده المرتزقة اليونانيين، وتقوم بدور الحاميات العسكرية، وهذا ما يفسر وجود أربع مدن من هذه الاسكندريات في الأقاليم الحدودية الشمالية الشرقية(٢٢٩).فضلاً عن ذلك فقد كانت هذه المدن تمثل مراكز إشعاع حضارية إغريقية للمناطق المجاورة لها تساعد في الانتشار التدريجي لمفردات الحضارة

---

٢٢٧) المصدر نفسه،ص٢٠١-٢٠٣.

٢٢٨) واثق إسماعيل ألصالحي،"النحت في العصرين السلوقي والفرثي"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٨٥)،ج٤،ص١٨٢-١٨٣.

٢٢٩) برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٩.

الإغريقية في الشرق[230].وقد يكون إنشاء بعض هذه المستعمرات لأغراض تجارية لما تتمتع به المنطقة من خصوصية بهذا الشأن، كوقوعها مثلاً: على طرق تجارية برية أو بحرية رئيسة[231].وتشير المصادر إلى إن المدن التي شيدها الاسكندر بلغت ٧٠ مدينة، ولكن المدن المؤكدة والتي حفظت لنا التسجيلات التاريخية اسماها هي ١٣-١٨ مدينة[232].ومن ابرز المدن التي شيدها الاسكندر في الشرق الأدنى كانت الإسكندرية الشهيرة في مصر، والإسكندرية على دجلة.

إن دراسة سياسة الاسكندر وإدارته في الشرق الأدنى القديم ذات أهمية كبير لأنها: تمثل البدايات الفعلية للسياسة التي سيطورها فيما بعد اليونانيون في الشرق، سواء السلوقيون في إيران والعراق وسوريا، أو البطالمة في مصر، لذا لابد من تتبع تطور وضع مناطق الشرق الأدنى كل واحدة منها على حدة في عهد الاسكندر الكبير.

نمتلك عدد من الإشارات حول سياسة الاسكندر وإدارته لأسيا الصغرى، ويرى دياكوف وكوفاليف إن الاسكندر عالج وضع المدن المحتلة في أسيا الصغرى وفق ثلاث طرق وهي:

١.في بعض المدن يقنع بقضيته شرائح الشعب الديمقراطية.

٢.في مدن أخرى يستند إلى الكهنوت.

---

٢٣٠) واثق إسماعيل ألصالحي، "العمارة في العصرين السلوقي والفرثي"، بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق، (بغداد:دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج٣، ص١٨٨؛ واثق إسماعيل ألصالحي، "المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الإسلام"، بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق، (بغداد:دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج٣، ص٣٥٠؛ ف.دياكوف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة:نسيم واكين اليازجي، (دمشق:منشورات علاء الدين، ٢٠٠٦)، ج٢، ص٣٩٧.

٢٣١) ألصالحي، المدينة، ص٣٥٠.

٢٣٢) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم:إيران والأناضول، (بغداد:مطبعة جامعة بغداد، بلا.ت)، ص١٣٠.

٣.في حالات يعقد صلات قربى مع بعض الشيوخ والأعيان[٢٣٣].

ويمكن إن نورد أمثلة حول الطريقة التي تعامل بها الاسكندر مع المدن أسيا الصغرى.

ان أول إجراء اتخذه الاسكندر بعد عبوره الدردنيل، ووصوله طروادة حتى قبل الالتحام مع القوات الفارسية في غرانيكوس، بان اتخذ عدة خطوات دينية منها انه: قدم السكائب إلى أبطال اليونان الذين خلدوا أنفسهم بتلك الحرب. ثم طاف عاريا حول القبر التقليدي الذي يقال انه لاخيل(احد أبطال الاخيين).كما قدم الاسكندر الأضاحي إلى أثينا ربة الموقع/ وكرس إلى معبدها هناك درعه الذي قيل انه استبدله بدرع يعود إلى احد أبطال اليونان الأقدمين. وضحى إلى بريام مع دعاء لجلب رضاه عما يعمله سلسل نيوبتوليموس ابن أخيل ويقصد به الاسكندر نفسه[٢٣٤].يبدو إن هدف الاسكندر من خلال ما قام به هو ربط نفسه مع أسلاف الشعب اليوناني إلى درجة إن ديودورس وبلوتارك وجوستين يذكرون إن حرب الاسكندر كانت لإعادة حرب طروادة ثانية[٢٣٥].ولكن هل كان ما قام به الاسكندر هو ولعه بأساطير الإغريق لاسيما الإلياذة وإبطالها كما أشير[٢٣٦] أم هو لغايات سياسية بحتة؟ فلنحاول فهم صورة مقدونيا في التراث اليوناني أولا. فمنطقة مقدونيا كانت عبارة عن سهل يسكنه شعب خليط من سلالات مختلفة كالتراقية، والايليرية(الألبانية) ويتكلم لغة تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية الأوربية، وإذا أردنا الدقة كانوا يتكلمون بلهجة فضة من لهجات اللغة اليونانية، ولم يكن اليونانيون يفهمونها، ولهذا عدوها من لغات البرابرة،

---

٢٣٣) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٤.

٢٣٤) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧؛طه باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠)،ص٧٧.

٢٣٥) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧.

٢٣٦) انظر مسألة تعلق الاسكندر بأبطال الإغريق في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص٢٢؛طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٩)،ج١،ص٦٥٠.

ونتيجة لذلك لم تعد مقدونيا بلداً يونانياً في نظر الإغريق، ولو إن التصاق حدودها الجنوبية ببلاد اليونان جعلها بمرور الزمن نصف يونانية. هذا وان الخطيب الأثيني ديموستنيس يصف ملكها فيليب الثاني، والد الاسكندر بالمتبربر[٢٣٧].فإذا كان اليونانيون لا يعدون مقدونيا ذات حضارة يونانية، ويعدوهم برابرة فلماذا حاول الاسكندر ربط نفسه بأسلاف اليونانيين، وهو من غير شك كان يدرك نظرة اليونانيين إلى مقدونيا، فلا شك إن إجراءات الاسكندر لم تكن إلا محاولة سياسية لكسب اليونانيين في أسيا إلى جانبه في حربه ضد الفرس لا أكثر.

يبدو إن سياسة الاسكندر في أسيا الصغرى هدفت إلى مراعاة الأنظمة السياسية التي الفتها المدن اليونانية، فعندما كان الاسكندر في طروادة(ايليوم)(Illium) أعلن إن هذه المدينة صارت حرة، وعادت إليها الديمقراطية، وألغيت عنها الضريبة التي كانت تدفعها للفرس، وأعاد تعميرها بما يتناسب مع ماضيها العتيد، وكرس نفسه فيها إلى معبد الربة أثينا بولياس. وقد أعيد بناء المدينة وهي أول مدينة تبنى على خطط يونانية بمؤسسات يونانية، ونشر المدنية اليونانية بين السكان المحليين. وقد تبنى الاسكندر نظام الإدارة الفارسي وعين كالاس ستراب، وأمره أن يجمع نفس الضرائب التي كان يتسلمها الفرس. وقد كان الفرس يضطلعون بالحكم في المدن اليونانية بواسطة الطغاة أو الموالين لهم من الحكومات الاوليغارشية، مع إقامة الحاميات بين حين وأخر، على إن الاسكندر اتبع طريقة مغايرة هناك، وذلك بتأييد الحكومات الديمقراطية الحرة والاعتماد عليها، وقد أعلن الاسكندر آنذاك انه قد أتى للقضاء على الحكومات الاوليغارشية، وأعادت الديمقراطية، والسماح لكل

---

٢٣٧) عبد اللطيف احمد علي،التاريخ اليوناني:العصر الهيلادي،(بيروت:دار النهضة العربية،١٩٧٦)،ج١،ص١٢١-١٢٢؛برن،تاريخ اليونان،ص٤١٥.

مدينة بان تسترد حقها في التمتع بقوانينها الخاصة بها، ثم إلغاء الضريبة التي كانت تدفع إلى الفرس، فكان الديمقراطيون في مدينة تلو الأخرى يعملون على قلب الحكومات الموالية للفرس. ففي زيليا مثلاً استولى المواطنون على القلعة وطردوا الطاغية المعين من قبل الفرس(٢٣٨).وقد احتل الاسكندر بنفسه افيسوس وارجع المنفيين إليها، وصارت الحكومة فيها ديمقراطية، وأعيد بناء معبد ارتميس(دايانا) فيها ،ونعرف إن الاسكندر عمر مدينة سميرنا التي هجرها سكانها منذ مدة ليست بالقصيرة. وسمحت بريني لانتيغونس بدخولها، وكلف الكيماخوس بالذهاب لتحرير المدن الايولية، وعندما وصل الاسكندر إلى سارديس خرج ميثرينيس قائد قلعة سارديس لاستقباله مع أهل المدينة بناء على وعد الاسكندر بإرجاع قوانينهم القديمة، وسلموا له الكنوز التي حفظوها في القلعة. وأقام الاسكندر اساندر حاكماً على ليديا، ولم يسمح له بجمع الضرائب والرسوم التي أسندت إلى نيكياس اليوناني، كما عين بوسنياس المقدوني قائداً لحامية ساردیس، ولكن سمح لأهل ليديا بحق التقاضي أمام المحاكم الوطنية وطبقاً للقوانين الخاصة بهم(٢٣٩).

كانت الخطوة الثانية دخول الاسكندر كاريا حيث رحبت به ادا أرملة ادريوس وشقيقة الحاكم السابق ماوسولوس، وكانت قد سلبت السلطة على يد أخيها بيكسوداروس. وقد تبنت الاسكندر وسلمت إليه قلعة الندا، وبعد اقتحام الاسكندر لمدينة هاليكارناسوس رد الاسكندر ادا إلى حكم ولايتها(٢٤٠).

---

٢٣٨) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٦٥؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٨.

٢٣٩) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٢-٤٦؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٨.

٢٤٠) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٨-٤٩؛صلاح رشيد ألصالحي،المملكة الحثية:دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول،(بغداد:بلا.مط،٢٠٠٧)،ص٥٥٥؛وقد البعض وجود امرأتين باسم ادا الأولى ابنة بيكسوداروس وزوجة اورنتوباتيس،وأدا أخرى من كاريا هي التي تبنت الاسكندر.انظر:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

سـار الاسـكندر عقـب ذلـك بحملـة في جبـال ليكيـا، وبيسـيديا، مهاجماً القبائـل المعتصـمة بسـفوح الـتلال في الشـتـاء عنـدما تكـون الثلـوج التي ضـيقت الخناق على رجالها في الوديان، وجعلت التحكم فيهم أمرا سهلا، فدخل أول الأمر الميلياد، واستسلمت مدن ليكيا، ورحبت به فاسيليس في بامفيليا، ومن ثم عين نيارخوس حاكماً على ليكيا وبامفيليا، وأقام الاسكندر الحصون، والاستحكامات في فاسـيليس لحمايتهـا مـن الأسـطول الفارسي، ثـم سـار إلى برجي، وهنـاك تقبـل الـولاء والخضـوع مـن برجي، وأسـبندوس، وسـيدي، وتوغـل في جبـال بيسـيديا متوجها إلى ترميسـوس،وهي القلعة المتحكمة في الممرات بين فاسيليس والميلياد. وقـد شـق طريقـه صـوب الشـمال متـوغلا وسـط القبائـل، وخـرب ساغالاسـوس واسـتولى على بعـض الحصـون، على انـه لـم يخضـع بيسـيديا وان كان قـد أضـاف النصـف الغربي منهـا اسـميا إلى الولايـة التابعـة لنيـارخوس. ثـم زحـف عـن طريـق بحيرة بلدور إلى كيلايناي وكانت حاميتها مؤلفة من الكاريين قد قبلت أن تستلم، إذ لم تصلها الإمدادات، وقد ترك الاسكندر انتيغونس بوصفه واليا على فريجيا وأبقـى معـه ١٥٠٠ مـن المرتزقـة لمراقبـة كيلاينـاي التي استسـلمت[٢٤١].بعـد ذلـك تقدم الاسكندر إلى أنقرة(أنكيرا) من غورديوم، وهناك استقبل رسلا وفدوا من بافلاغونيا، وكانت آنذاك مستقلة، وطلبوا منه عدم غزو بلادهم، وقدموا إليه بصـفة رسـمية الـولاء والخضـوع، ولمـا كانـت بغيـة الاسـكندر وهدفـه لقـاء الملـك الفارسي داريـوس الـذي تحـرك لقتـال الاسـكندر، فـان غـزو بافلاغونيـا لـم يكـن يخطر له على بال. فضم تلك البلاد بصفة اسمية إلى ولاية كان يحكمها كالاس. بعـد ذلـك اجتـاح الاسـكندر كبـدوكيا الجنوبيـة، وعـين شخصـا يـدعى سـابيكتاس(Sabiktas) ليكـون واليـا عليهـا، ولعلـه احـد الأعيـان المحليـين في

---

[٢٤١]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٩-٥١.

المنطقة[٢٤٢].وبعد معركة أيسوس وهزيمة داريوس دخلت كيليكيا ضمن دولة الاسكندر ونصب عليها الأخير بلاكروس[٢٤٣].

لقد عمل الاسكندر المقدوني على تنظيم الإدارة في المدن التي سيطر عليها في أسيا الصغرى، فمن المعروف إن مدنا في أسيا الصغرى لم يحاول الاسكندر إخضاعها وبقيت تابعة للفرس، تلك المدن التي لم تكن مهمة وعديمة الجدوى بالنسبة للأسطول الفارسي الذي قد يشكل خطرا على تحركات الاسكندر[٢٤٤].

لقد كان ولاة الفرس، كما وجدهم الاسكندر، يجمعون في أيديهم كل السلطة العسكرية والمدنية، وفي وسعهم سك العملة. لذا عمل الاسكندر على الفصل بين السلطات الثلاثة: المدنية والحربية والمالية، ولكنه لم يبق في أسيا الصغرى على سلطات مدنية منفصلة. وكان اغلب حكام الأقاليم أصلهم من القادة المقدونيين تسندهم جيوشهم، ولكنه استحدث تجديدا عظيما بحرمانهم من الإشراف على المالية وإقامة مشرفين ماليين مستقلين، وربما احتفظ بالتقسيم الفارسي العسكري للولايات المسمى بالقيادات، وانتفع به على اعتبار انه وحدات مالية إقليمية صغرى، تحت إشراف موظفين تابعين له، ومسئولين أمام المشرفين الماليين عن الولاية(الستراببة). وبذلك شهدت أسيا الصغرى سلطة مزدوجة في كل سترابية، ولو احتفظ الاسكندر لنفسه بحق سك العملة. وقد حتم الاسكندر على المراقبين الماليين جمع الضرائب مباشرة من الفلاحين وإيداع المتحصل منها في الخزانة. ولا نعرف الكثير عن أراضي الملك، وربما كانت أراضي الملك الوحيدة التي كانت لا تزال يديرها مباشرة موظفو الاسكندر، تقع في نطاق الولايات المطلة على الشاطئ صوب الغرب والجنوب؛ أما كبار ملاكي الأرض

---

٢٤٢) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٥٤؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩-٣٩٠.

٢٤٣) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٦٠.

٢٤٤) حول هذه المدن انظر:المصدر نفسه،ص٧٠-٧١.

في الهضبة الوسطى من أسيا الصغرى فقد أبقوا بصفة مؤقتة على حالهم، محتفظين بوضعهم القائم كما هو في العصر السابق، فيما عدا إن الاسكندر كان يعد نفسه المالك الأعلى للضياع وصاحب الحق فيما هو مقرر عليها من ضرائب، باعتباره السيد الأعلى للبلاد. وقد تم تعيين فيلوكسينوس مشرفا على الضرائب في جميع أرجاء أسيا الصغرى شمال طوروس. ولعله كان صاحب الهيمنة على جميع المشرفين في الولايات، ومن اختصاصه عمل التنسيق بين جهودهم[٢٤٥].

لقد واجه الاسكندر مشكلة كبيرة في أسيا الصغرى من جراء إعادة النظم الديمقراطية للمدن هناك، فبعد إعادة الأنظمة الديمقراطية في كل مدينة كان يتبعه استدعاء العناصر الديمقراطية من المنفى(كما حدث في افيسوس)،فان أولئك الديمقراطيين سرعان ما يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين، كما حدث في مدينة ميتيلني، فما إن استرد الديمقراطيين سلطتهم في المدينة حتى بدوءا يعملون الذبح والتقتيل في خصوهم السياسيين، لذا انبرى الاسكندر بالتدخل على الفور من اجل إنهاء المسألة، وفي افيسوس بعد أن قام الديمقراطيون بقتل الطاغية وابنه هناك عاقبهم الاسكندر برفضه إلغاء الضريبة عنهم. وفي خيوس التي أنظمت إلى ممنون، ثم تمكن الشعب من التخلص من العناصر الفارسية، صدر قرار الاسكندر بإعادة المنفيين وإقامة الحكومة الديمقراطية، ثم أمر بتأليف لجنة مراجعة القوانين، على أن تعرض النتيجة على الاسكندر، وأقام حامية في المدينة إلى أن: "يسوي أهل خيوس ما بينهم من خلافات ويسود السلام بينهم". ثم اصدر في الحال بإطلاق سراح المسجونين، ممن كانوا موالين للفرس في نظير دفع ما عليهم من غرامة، وقرر انه لا يجوز في المستقبل اتهام احد على أساس ما كان يبدو عليه في الماضي من ميول

---

٢٤٥) المصدر نفسه،ص٦٣-٦٤.

فارسية، وذلك فيما عدا حالتين اثنتين استثناهما وهما حالة الطغاة والخونة. وعلى ذلك أمر بان أولئك الذين خانوا بالفعل خيوس وسلموها إلى ممنون وفروا، لابد من اعتبارهم خارجين عن القانون في أي مدينة يحلون فيها، وفي حالة القبض عليهم لابد من محاكمتهم، بينما جرى تسليم جميع الطغاة الذين كانوا قد وقعوا في يد الاسكندر في المدن التابعين لها لكي يقدموا للمحاكمة[٢٤٦].

لا نعرف الكثير من إجراءات الاسكندر في سوريا وفلسطين، ونعرف إن الاسكندر اقر الأوضاع في سوريا بتعيين ستراب مقدوني عليها يعاونه مشرف مالي. هذا وقد أرسل مينيس احد رجال حرسه الخاص إلى فينيقيا ليتولى القيادة ويقوم بالإشراف على المواصلات البحرية بين فينيقيا وأوروبا، وفي فلسطين أسس الاسكندر في يافا دائرة لضرب النقود، وأمر بتبديل اسم المدينة من يافو(Yapho) إلى جوبا(Joppa) من غير أن نعرف السبب[٢٤٧].

في مصر نعرف إن الاسكندر قد أبقى الإدارة بيد أهلها بالدرجة الأولى، ما عدا قيادة الحامية التي أودعها إلى قادته[٢٤٨].ويبدو إن الاسكندر حاول إرضاء المصريين وكسب ودهم وإبراز حكمه بطريقة شرعية على الطريقة المصرية، لذا نجده يقدم القرابين للآلهة المصرية، وعندما وصل إلى ممفيس قدم القرابين للعجل المقدس أبيس، ومن ثم سافر عبر الصحراء إلى واحة سيوه، وكان خط سيره عن طريق الساحل الشمالي إلى بريتونيوم (Paraetonium)(مرسى مطروح الحالية) حيث استقبل، كما يقال، وفدا من إغريق برقة، ثم توجه جنوبا إلى سيوه، لكي يصلي في محراب زيوس أمون، وهنا أعلنه الكاهن ابنا للإله أمون

---

٢٤٦) المصدر نفسه،ص٦٧-٦٨.

٢٤٧) فلافيوس اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ترجمة:فؤاد جميل،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٦)ص٤٣؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٨٤،٩٤؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،(بغداد:مركز الدراسات الفلسطينية،١٩٧٩)،ص٢٨٧.

٢٤٨) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(بغداد:شركة التجارة والطباعة المحدودة،١٩٥٦)،،ج٢،ص٤٤٤.

وإنباءه بأنه سيحكم العالم ،وتلقى إجابات عن تساؤلاته من أمون، ونحن لا نعرف ما حدث بين الاسكندر ووحي الإله أمون، ولكن لابد من إن الاسكندر قد سأل عما يشغل باله وهي حملته ومصير جهوده، ولابد إن الرد كان منبئا بتحقيق آمال الاسكندر وسيادته على العالم، أما الاسكندر نفسه فلم يفصح عما حدث داخل قدس الأقداس. وان لقب ابن أمون يعني في الواقع انه الفرعون الشرعي لمصر[٢٤٩].وقد اهتم المؤرخون قديما وحديثا بتفاصيل رحلة الاسكندر إلى سيوه لغرابة الفكرة ودلالتها، إذ ما حدا بقائد عسكري لم يفرغ بعد من حرب عدوه أن يقوم برحلة لا تخلو من مخاطرة إلى قلب الصحراء الغربية بعيدا عن العمران من اجل زيارة معبد. ويعتقد البعض إن مثل هذه الرحلة مما يتفق وما نعرفه عن شخصية الاسكندر التي غلب عليها التأثر الديني إلى حد التطهر إلى جانب ميل شديد للمخاطرة واكتناه المجهول، فليس مستغربا إذن أن يستهوي سيوه ومعبد أمون الذي ذاع صيته في العالم اليوناني منذ القدم، خيال الاسكندر ليستلهم وحي أمون عن مستقبل آماله لاسيما وان اثنين من أبطال الإغريق هما: برسيوس، وهرقل قد سلكا هذا السبيل من قبل فيما تروي الأساطير. فالإسكندر بهذا العمل يضيف حلقة إلى تقليد ديني عريق يليق بشخصيته البطولية[٢٥٠].لا يخلو هذا الرأي من مبالغة بعض الشيء واقتصاره على جانب واحد في التعليل وهو مسألة شخصية الاسكندر المقدوني وحبه للبطولة واقتدائه بأبطال الإغريق، ولكن هناك جانب أخر يمكن أن يكون سببا وجيها لهذا

---

٢٤٩) باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٤؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٨٠-٨٢؛عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم،(الموصل:مطبعة جامعة الموصل،١٩٧٨)،ص٢١٨؛ باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧٩؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٣؛ مصطفى ألعبادي،العصر الهلنستي:مصر،(بيروت:دار النهضة العربية،١٩٨٨)،ص٢٠؛ فوزي مكاوي،الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني،(القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،١٩٩٩)،ص١٦؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٥.

٢٥٠) انظر هذا الرأي في:ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢٠-٢١.

التحرك، فالإسكندر الذي انتزع مصر من القبضة الفارسية كان عليه أن يثبت الحكم المقدوني فيها، ومن اجل تنفيذ هذه السياسة كان لابد من إقناع الشعب المصري بإيمانه الحقيقي بالمعتقدات المصرية، ولا يبدو هذه السياسة غريبة عن الاسكندر، ففي كل منطقة من مناطق الشرق القديمة يدخلها الاسكندر منتصرا يقوم باتخاذ خطوات دينية من شأنها إقناع شعب هذه المنطقة أو تلك بأيمانه بمعتقداتها، ونشاهد هذه السياسة قد طبقها الاسكندر في أسيا الصغرى عندما ربط نفسه بأبطال الإلياذة، وسنشاهدها أيضا في العراق عندما أعلن عن احترامه للمعتقدات البابلية، إن النظر إلى كل هذه الأمثلة سوية تساعدنا على رسم صورة مغايرة لشخصية الاسكندر، التي غلب على الدراسات وصفها بحبها للبطولة فمهما أحب الإنسان الأبطال والأساطير فانه لا يمكن محاكاتها في الواقع ولابد وان كان الاسكندر مدركا لهذه الحقيقة، فالأحرى أن نصف سلوك الاسكندر هو سلوك سياسي بحت أفضل من سلوك شخصي. فقائد بهذه الإمكانيات العسكرية لا يمكن له أن ينتصر إذا ما تحرك وفق أهواه الشخصية وحسب.

بعد أن أتم الاسكندر الزيارة إلى واحة سيوه عاد بالطريق المباشر عبر الصحراء إلى ممفيس حيث أقام بعض الوقت، وتفرغ فيه لإعادة نظام الإدارة والحكم في مصر على أسس جديدة تتلخص فيما يلي:

قسمت مصر إلى قسمين رئيسين شمالي وجنوبي(أي الوجه البحري والوجه القبلي)،وعهد بإدارة كل قسم إلى موظف مصري، ولكن حين تنحى احدهما وهو بوتيسيس(Potisis) تولى زميله دولاسبيس(Doloaspis) إدارة الوجهين معا. أما الحدود الشرقية والغربية فقد انشأ بهما مقاطعتين جديدتين هما: العربية وليبيا، وعين على الأولى: كليومينيس النقراطيسي(Cleomenes Of Naucratis) وعلى الثانية: ابولونيوس ابن خارينوس(Apollonius son of

charinus). وفيما يتعلق بالسلطة العسكرية فقد عين قائدين على الحامية العسكرية التي تركها في مصر هما: بيوكستس ابن مكارتاتوس(Peucestes Son of Macartatus)، وبلاكروس ابن امينتاس(Balacrus son of Amyntes)،كما عين بوليمون ابن ثيرامينس(Polemon son of Theramenes)قائدا للأسطول. هذا إلى جانب قادة آخرين لبعض الوحدات المرابطة في ممفيس وبلوزيوم. أما الإشراف على الخزانة، والشؤون المالية فقد عهد به إلى كليومينيس النقراطيسي، وأمره بان يترك حكام المديريات المختلفة يديرون مقاطعاتهم كما كان الأمر من قبل وان يجمع منهم الضرائب المفروضة. وأخيرا عهد إلى كليومينيس أيضا مهمة الإشراف على بناء مدينة الإسكندرية الجديدة[٢٥١].

إن نظرة سريعة إلى هذا النظام الإداري يكشف لنا نقصا ظاهرا فيه وهو عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد، وإنما وزعت السلطة بعناية شديدة بين المشرفين على الإدارة والشؤون العسكرية والشؤون المالية. وقد كان أريان أول من لاحظ هذه الحقيقة وفسرها بان الاسكندر فعل ذلك عامدا ليمنع أي حاكم بمفرده من أن يقوي سلطته ويتمكن من الاستقلال بمصر. ورغم إن احد لم يستقل بمصر أثناء حياة الاسكندر، لكن ما إن غادر مصر حتى وجدنا المشرف على الشؤون المالية كليومينيس النقراطيسي يظهر فوق كل القادة الآخرين، وبدا كأنه والي مصر الفعلي. ورغم إن أعماله أغضبت سائر الإغريق، ولكن يبدو انه ظل حائزا لثقة الاسكندر التامة حتى انه بقي في منصبه طيلة حياة الاسكندر، مما يشير في اقل تقدير إلى إن الاسكندر هو الذي أعطاه هذه المكانة. ومعلوماتنا عن كليومينيس هذا محدودة جدا، فنحن نسمع عنه للمرة الأولى حين عهد إليه الاسكندر بعدة مهام في نظامه لحكم مصر وأهمها الإشراف على الخزانة، ولا نعرف عن تاريخه قبل ذلك. ولكن نستنتج من اسمه انه من

---

[٢٥١]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٨٢-٨٣؛ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢١-٢٢.

إغريق مدينة نقراطيس(وكانت مركزا مهما لإقامة التجار الإغريق في مصر منذ عصر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية)،ولابد انه كان من أعيانها، وكبار تجارها، مما يجعله ذا خبرة ودراية بشؤون السوق والحياة الاقتصادية المصرية، الأمر الذي يجب أن يتوفر فيمن يعهد إليه بالإشراف على الخزانة. على إن كليومينيس لم يكن مجرد موظف كفء يتلقى تعليمات الملك لينفذها بإتقان وإنما تاجرا وماليا ممتازا. فقد حاول هذا الرجل من السيطرة على السوق المصرية والأسواق العالمية في البحر المتوسط، وعامل المالية المصرية كما يعامل التاجر الطموح ماليته الخاصة، وتاجر باسم الدولة[٢٥٢].وبلا شك إن وجود موظف طموح بهذا الشكل هو الذي جعل الاسكندر يحجم عن وضع الصلاحيات بيد رجل واحد لذا نجده يقسم الإدارة بين كبار الموظفين، ولكن كليومينيس لم يكن إداريا طموحا فحسب بل انتهازيا اشتهر بالخديعة والحيلة في تحقيق أهدافه، استغل الكثير من الفرص للقضاء على منافسي الدولة من التجار وغيرهم كما سنلاحظ من سياسته.

لقد حاول كليومينيس السعي لإضعاف طبقة الكهنة طريق إضعاف قدرتها المالية وابتزازها لإخضاعها. ونمتلك أمثلة جيدة عن مثل هذه السياسة: فقد كانت محاولته الأولى على فئة منهم في منطقة الفيوم التي كانت تقدس التمساح، فادعى انه أثناء زيارته لها إن ابتلع تمساح احد أتباعه وانه انتقاما من هذه الحادثة سوف يصيد التماسيح هناك ويقضي عليها، وهنا خشي الكهنة على إلههم من الاهانة التي ستلحق به فجمعوا ما استطاعوا من المال وقدموه إلى كليومينيس تعويضا عن خسارته احد أتباعه. بعد ذلك قام بمحاولة ثانية استهدف بها طبقة الكهنة بأسرها، إذ جمع ممثلين من جميع المعابد وأعلن إن المعابد تتكلف الكثير من المال ولذلك يجب إغلاق بعضها. فخاف الكهنة على

---

٢٥٢) ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢٢-٢٣.

معابدهم، واتفقوا على جمع مبلغ كبير من المال سواء من أملاكهم الخاصة أو من أموال المعابد وقدموها إليه(٢٥٣).

لقد انتهج كليومينيس سياسة مقصودة لإقامة احتكار لتجارة القمح عن طريق السيطرة على السوق المصرية، بان يصبح هو المصدر الوحيد للقمح المصري. وعن هذا السبيل استطاع التحكم في تجارة القمح العالمية وتحديد أسعاره في الخارج على نحو يحقق الربح الوفير.# وقد ابتدأ بفرض سيطرته على سوق القمح المصرية بان قضى على سائر المنافسين الذين كانوا ينحصرون في الكهنة وكبار المزارعين والتجار(٢٥٤).فقد اتجه كليومينيس نحو طبقة المزارعين اتفق معهم على أن يبيعوا إليه جميع محصولهم من القمح بالسعر الذي يصدرون به. وبذلك احتكر تجارة القمح وأصبح المصدر الوحيد لهذه السلعة في مصر. كذلك عمل كليومينيس على التحكم بالأسواق العالمية، عن طريق شبكة من السماسرة والوكلاء بثهم في موانئ البحر المتوسط الهامة. هؤلاء الوكلاء كانوا يطلعونه عن أسعار القمح في الأسواق المختلفة، وحيثما شح القمح وارتفع سعره استطاع كليومينيس أن ينتهز الفرصة في الحال ويرسل إلى ذلك المكان شحنات من القمح ويبيعها بالسعر الذي يريده هو، حتى قيل انه باع الكيل من القمح في بعض الأزمات بمبلغ ٣٢ دراخمة بينما السعر العادي كان يتراوح بين ٥-١٠ دراخمة فقط. والواقع إن ممارسة الاحتكار لم تكن جديدة في مصر، فقد مارسها الفراعنة من قبل في احتكار السلع للتجارة الداخلية. ولكن محاولة كليومينيس في إنشاء تجارة احتكارية دولية هي الأولى من نوعها. والجديد في محاولته هذه انه مارسها بأساليب تجارية بحتة، وليس مثل أثينا التي استخدمت سيادتها البحرية لاحتكار تجارة البحر الأسود في القرن الخامس قبل الميلاد(٢٥٥).وهناك تساؤل

---

٢٥٣) المصدر نفسه،ص٢٤.

٢٥٤) المصدر نفسه،ص٢٣-٢٤.

٢٥٥) المصدر نفسه،ص٢٤-٢٥.

أخير يجب أن يسأل بشأن نشاط كليومينيس التجاري. وهو هل قام بهذه التجارة لحسابه الشخصي أم باسم الدولة ولصالحها؟ ليس لدينا رد قاطع على هذا السؤال ولكننا نستطيع أن نستشف من مصادرنا إن كليومينيس قام بالتجارة على انه رجل من رجال الدولة. وهناك دليل يؤيد هذا الاستنتاج هو إن بطليموس الأول سوتير تسلم من كليومينيس في خزانة الدولة مبلغ ثمانية الألف طالنت، مما يدل على إن أرباح كليومينيس من التجارة كانت تذهب إلى خزينة الدولة(٢٥٦).

لقد سعى الاسكندر إلى ترسيخ المفاهيم الإغريقية في البلدان المحتلة ليرسي فيها فتوحاته، ففي ممفيس مثلا نظم مباريات رياضية وموسيقية بمشاركة اليونانيين المدعوين لهذه الغاية(٢٥٧)،ومن ثم خطى أهم خطوة في سياسته في مصر وهي تشييده مدينة الإسكندرية لنفس الهدف، ويذكر أريان وبلوتارك إن الاسكندر أثناء ذهابه إلى معبد أمون في سيوه مر على قرية كانوب(أبو قير الحالية)،وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مريوط تدعى راقودة توقع أن تكون مكانا رائعا لإنشاء مدينة تحمل اسمه. وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش في تطور وازدهار. وقد أحاطت بنشأة الإسكندرية أساطير أشهرها تلك التي ذكرها أريان حول استخدام الاسكندر للدقيق لرسم حدود أسوارها وتخطيط أحيائها وكيف فسر له العراف اريستاندير (Aristander) ذلك بأنه مؤشر لازدهار المدينة ورخائها(٢٥٨).

لقد عين الاسكندر قبل مغادرته مصر المسئول عن الخزانة كليومينيس مشرفا على بناء المدينة الجديدة وأمر بان تكون الإسكندرية عاصمة مصر. ويبدو

---

٢٥٦) المصدر نفسه،ص٢٦.

٢٥٧) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٥.

٢٥٨) باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٣-٤٤٤؛ سليمان الفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص٢١٨؛ ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢٠؛ مكاوي،الشرق الأدنى،ص١٦؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٥.

إن هدف الاسكندر كان هو إنشاء مركز تجاري يكون سوقا عظيمة ويحل محل صور في البحر المتوسط التي كانت قد دمرت بفعل غزوات الاسكندر. ويبدو إن كليومينيس جعلها فعلا مركزا لنشاطه التجاري. ورغم إن مباني الإسكندرية العظيمة لم توجد إلا بعد إنشاء البطالمة دولتهم، إلا انه ما من شك إن إسكندرية كليومينيس كان لها طابع الميناء التجاري، وإنها في عصره احتلت مكانة نقراطيس كمركز للتبادل التجاري مع اليونان، وليس أدل على سرعة نماء الإسكندرية في أعوامها الأولى من انه في ٣٢٦ قبل الميلاد كان بها دار نشط لسك العملة تصدر عنها عملة الاسكندر في كميات كبيرة[٢٥٩].

أما بلاد الرافدين فقد احتلها الاسكندر في أعقاب معركة غاوغاميلا الحاسمة مع الفرس، ولم يلاق الاسكندر في بابل حربا بل إن الحاكم الفارسي مازيوس سلم المدينة إلى الفاتح، وأول عمل قام به انه أعلن لسكان بابل انه خلصهم من اضطهاد البرابرة[٢٦٠] وقد اتبع الاسكندر سياسة التسامح التي اتبعها في مصر، فأعاد مازيوس إلى منصبه، وأبقى البابليين، مثلما فعل مع المصريين في مراكزهم الوظيفية والإدارية والدينية، ولكن شؤون الجيش والمالية انيطت بالمقدونيين فقد عين أوللودور الاميبولي قائدا للجند، واسكيليبيودور بن فيلو جابيا للضرائب[٢٦١].

لقد كان تعيين مازيوس سابقة مهمة لان الاسكندر لأول مرة يعين فيها فارسيا في الإدارة، ولكنه لم يخوله سلطات عسكرية ومالية التي بقيت بيد المقدونيين، ومنذ ذلك الحين، كان كلما عين واليا فارسيا، قسم السلطات الثلاث

---

٢٥٩) تارن،الاسكندر الأكبر،ص ٧٩؛ألعبادي،العصر الهلنستي،ص٢٦.

٢٦٠) باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٥؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٣؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٨٠؛باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٣.

٢٦١) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧؛باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٥؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩.

وهي المدنية والعسكرية والمالية، فكان يقصي الفرس دائما عن تولي السلطة العسكرية على انه في أمر واحد فقط كان لمازيوس مركز فريد وهو انه كان الوالي الوحيد الذي سمح له بسك عملة[٢٦٢].

يبدو إن الاسكندر أراد كسب ود البابليين كما فعل في طروادة ومصر لذا نجده يقدم القرابين للآلهة في معابدها، ويأخذ بيد الإله مردوك[٢٦٣].ونعرف انه منح لقب ملك الجهات الأربع وملك الجميع[٢٦٤]،وانه مسك يد الاله مردوك كبير الالهة البابلية، واتخاذ الألقاب الملكية البابلية، وهذا يعني إن الاسكندر أصبح الملك الشرعي في بابل. ويشير أريان إلى إن الكهنة البابليون أشاروا على الاسكندر بجميع ما عليه القيام به في المدينة من واجبات دينية وما يخص الطقوس البابلية القديمة، وعلى وجه الخصوص تقديم القرابين إلى بيل(مردوك)[٢٦٥].ويتحدث المؤرخين أريان وابيانوس انه حينما دخل الاسكندر مدينة بابل أمر البابليين أن يعيدوا بناء كل المعابد التي دمرها احشويرش، ومن بينها جميعا معبد بيلوس(مردوك-بيل في البابلية) الذي يكرمه البابليون أكثر من بقية الآلهة الأخرى، لذا شرع بترميم معبد مردوك، ولكنه لم يتمكن لسوء الحظ من تحقيق ما فكر به، فقد تكشفت له ضخامة المهمة التي عقد العزم على انجازها، عندما رأى بعد شهرين من الجهود انه لم يتوصل بمعونة عشرة آلاف

---

٢٦٢) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٣؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٨٠.

٢٦٣) مارغريت روتن،تاريخ بابل،ترجمة:زينة عازار وميشال أبي فاضل،(بيروت:منشورات عويدات،١٩٧٥)،ص١٧٣؛يوسف غنيمة،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق،(لندن:دار الوراق،٢٠٠٦)،ص٨٤.

٢٦٤) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩؛دانيال تي.بوتس،حضارة وادي الرافدين:الأسس المادية،ترجمة:كاظم سعد الدين،مراجعة:إسماعيل حجارة،(بغداد:منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث،٢٠٠٦)،ص٣٩٨.

٢٦٥) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧.

جندي إلا إلى إزالة التراب الذي كان يحجب الآثار المتداعية. وطبقا لسترابو كان مقدار العمل كبيرا جدا، وان إعادة المباني لم تكتمل في حياة الاسكندر[٢٦٦].

تشير بعض المصادر إن موقف الاسكندر من اليهود في بابل كان يختلف عن ذلك الموقف في فلسطين كما سنرى لاحقا، إذ نقرأ عن إجباره ليهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل بيل، وعاملهم بقسوة، وجلدهم واخذ منهم غرامة مالية إلا إن اليهود تداركوا الأمر واسترضوا الفاتح وصالحوه، ودخل عدد منهم في جيشه، وحاربوا مع المقدونيين جنبا إلى جنب[٢٦٧].ولكن لا نعرف صحة هذه الأخبار لاسيما وان الاسكندر كما رأينا في سياسته لم يضطهد أي صنف من أصناف السكان في الأقاليم المحتلة، ولكنه هاجم بقسوة بالغة المدن التي وقفت ضده وساندت الفرس، فهل كان اليهود في بابل مساندين للسلطة الفارسية فهاجمهم الاسكندر بعد دخوله بابل، ولكن نحن لا نعرف أي قوة يهودية اشتركت في القتال مع الفرس، فضلا عن ذلك لم يكن اليهود في بابل إلا أقلية ضئيلة لا يمكن أن يعول الفرس على مساعدتها، لذا من الأرجح أن نعد هذه الرواية مختلقة، لاسيما وإذا ما عرفنا انه لا توجد أي إشارة إلى مجندين يهود في جيش الاسكندر ما عدا هذه الرواية.

نعرف إن الاسكندر حاول إدخال بعض المفاهيم الإغريقية إلى بابل ومنها انه شيد المسرح اليوناني هناك قبل وفاته بسنتين[٢٦٨].ويشير بعض الكتاب

---

٢٦٦) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٧؛روتن،تاريخ بابل،ص١٧٣؛غاغيك سركسيان،"ارض المدينة في بلاد بابل في العهد السلوقي"،بحث ضمن كتاب:العراق القديم،ترجمة:سليم طه التكريتي،(بغداد:دار الحرية للطباعة،١٩٧٦)،ص٤٨١؛سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص٢١٨؛ ألصالحي،العمارة،ص١٨٨؛ جون اوتس،بابل،ترجمة:سمير عبد الرحيم ألجلبي،(بغداد:منشورات دائرة الآثار والتراث، ١٩٩٠)،ص٢١٣؛باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٣-٦٥٤.

٢٦٧) غنيمة،نزهة المشتاق،ص٨٤.

٢٦٨) دروثي مكاي،مدن العراق القديمة،ترجمة:يوسف يعقوب مسكوني،بغداد:مطبعة شفيق،١٩٦١)،ص٤٩.

الإغريق الذين رافقوا الاسكندر في حملته إلى الشرق إلى إن الاسكندر كان ينوي جعل بابل عاصمته الشرقية[٢٦٩].ويبقى هنا سؤال لابد منه لدراسة الأوضاع في بابل في عهد الاسكندر المقدوني، وهو يتعلق بمدى وجود جالية إغريقية أو استيطان إغريقي في بابل؟ وبتعبير أدق هل هناك مستوطنين إغريق يمكن أن نقرأ عنهم في بابل؟ فالأدلة الاثارية قد تشير إلى هذا الاقتراح لاسيما وجود مسرح إغريقي في بابل، والذي يعد جزء مهما في بناء المدينة الإغريقية، هذا المسرح الذي لا يشكل أهمية بكل الأحوال بالنسبة للبابليين. وهناك أدلة ربما تشير إلى وجود الاغورا(وهو نواة المدينة الإغريقية)،فهل هذا دليل على استيطان إغريقي في بابل؟.

لا نمتلك معلومات كافية عن تواجد استيطاني إغريقي في بلاد بابل خلال عهد الاسكندر، وقد جرى الاقتراح بوجوب البحث عن حي إغريقي في منطقة في بابل المعروفة محليا بالحميرة. ولكن ما من تنقيبات جرت لتأكيد ذلك. هذا مع العلم إن البعض فسر منطقة الحميرة على انها بقايا الأنقاض التي رفعت بأمر الاسكندر من حوالي برج بابل[٢٧٠].وقد كشفت التنقيبات الألمانية الأولى عن مساحة للحرق في هذه المنطقة فسرها على نحو رومانسي كولديفاي بأنها بقايا المنصة التي بناها الاسكندر لحرق جثة صديقه هيفايستون في حين بين شميت إن المنطقة المكشوفة مع علامات الحرق ربما تذكر أكثر بساحة السوق (الاغورا) المنطقة التي دمرتها النيران[٢٧١].إن وجود مسرح إغريقي مع منطقة ربما تمثل الاغورا قد تشير إلى وجود مستوطنين إغريق في بابل، ربما من جنود الاسكندر الذين أسكنهم في المدن الجديدة في الشرق، قد اسكن بعضا منهم في المدن القديمة. ونمتلك إشارات عن تأسيس الاسكندر لدار ضرب النقود في بابل

---

٢٦٩) ألصالحي،العمارة،ص١٨٨؛اوتس،بابل،ص٢١٢.

٢٧٠) باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٤.

٢٧١) اوتس،بابل،ص٢١٢؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٣٩٩.

بعد وصوله مباشرة إليها من اجل تأمين رواتب لجنده الذين شكلوا حامية عسكرية هناك[٢٧٢].

تزودنا المصادر بمعلومات جيدة عن بعض إجراءات الاسكندر في بابل، فقد حفظ كل من أريان وسترابو معلومات تتعلق بتدخل الاسكندر في حقل الإدارة البابلية للجداول والأنهار. وينقل سترابو عن احد قادة الاسكندر، ويدعو اريستوبولوس قوله: "إن الاسكندر فتش الجداول ونظمها مع جيش من أتباعه وانه أيضا سد بعض مصباتها وفتح أخرى"[٢٧٣].فضلا عن ذلك فان سترابو، واريان يسجلان إن الفرات قد أصبح صالحا للملاحة، بفضل الاسكندر الذي رفع السدود الاصطناعية التي شيدها الفرس الأخمينيون لمنع الملاحة إلى أعالي نهري دجلة والفرات خشية هجوم خارجي[٢٧٤].وإن خطوات الاسكندر المباشرة لإصلاح وتجديد جداول الري والبزل في الفرات، هي حركة تبدو مدفوعة باهتمامات ملاحية عملية، وليس بإحساس من اجل رفاهية ومصلحة النظام الزراعي في بلاد بابل[٢٧٥].في الحقيقة كان الاسكندر يملك أسطولا من السفن الحربية التي نقلت قطعا بالسفن الكبيرة من فينيقيا إلى بلاد بابل تأهبا لغزو الجزيرة العربية، وانه بلا ريب يتطلب أن يكون الفرات وفروعه أسفل بابل في حالة جيدة، وحتى أريان يقول إن الاسكندر حفر مرفأ في بابل يتسع لألف سفينة حربية، وانه أوفد ميغالوس الكلازوميني إلى فينيقية وسوريا ومعه ٥٠٠ طالنت لتجنيد مجموعة من الجند واستخدام آخرين من ذوي الخبرة في الشؤون البحرية[٢٧٦].

٢٧٢) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٤٠١.

٢٧٣) المصدر نفسه، ص٥٢.

٢٧٤) اريانوس، أيام الاسكندر في العراق، ص٤٠؛ بوتس، حضارة وادي الرافدين، ٥٣.

٢٧٥) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٧.

٢٧٦) اريانوس، أيام الاسكندر في العراق، ص٥٤-٥٥؛ بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٧.

لا نمتلك معلومات كافية عن مدن بلاد الرافدين في عصر الاسكندر ويشير الأستاذ بوتس إلى انه في عصر سلالة أور الثالثة وبابل الأولى، كانت أور تقوم بالتأكيد بوظيفة بوابة بلاد الرافدين للسفن القادمة من الجنوب. ويبدو إن تلك الوظيفة قد انتقلت إلى اريدو عند وصول الاسكندر. وكانت عمر اريدو نحو ٦٠٠٠ سنة حين دخل الاسكندر بلاد بابل. وقد بين الباحث الألماني فايسباخ منذ زمن طويل إن اريدو كانت مماثلة لمدينة تدعى تيريدون(Teredon) لدى مختلف المؤلفين الكلاسيكيين أمثال: سترابو، وديونيسوس، واميانوس مارسلينيوس. وهي يريدوتس أو اريدوتس وفقا لآريان. وعلى وفق يوسيبيوس نقلا عن ابيدينوس إن نبوخذنصر الثاني(٦٠٤-٥٦٢ قبل الميلاد) هو الذي أسس تيريدون ضد غارات العرب، وهو تلميح مهم، فاريدو مذكورة في نصوص بابلية حديثة واجر مختوم بشعار نبوخذنصر وجدت في الزاوية الشمالية الغربية لزقورة اريدو. ونظرا لعراقة اريدو فان ذلك يجب أن ينظر إليه على انه إعادة تأسيس إذا ما كان دليل يوسيبيوس صحيحا. ويقول نيرخوس أمير البحر لدى الاسكندر إن في تيريدون يقوم التجار بجمع البخور من البلدان المجاورة، وجميع الافاوية العطرة التي تنتجها البلاد العربية[٢٧٧].

من أعمال الاسكندر المهمة في بلاد الرافدين انه شيد مدينة الإسكندرية على دجلة، إذ يذكر بليني إن الاسكندر أمر ببناء مدينة قرب النقطة التي تلتقي فيها قناة الـگارون بنهر دجلة، وقد أنشئت المدينة فوق رابية اصطناعية لحماية الموضع من فيضانات مياه الأنهار القريبة. وقد أراد الاسكندر

---

[٢٧٧]) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٤٠٨-٤٠٩.والواقع إن مطابقة تريدون مع اريدو ما زالت غير مؤكدة، فالأستاذ الأحمد يرى إن هذه المدينة بمحل ليس ببعيد عن جبل سنام في جنوب العراق وهو موقع قريب من مدينة اريدو.انظر:سامي سعيد الأحمد، "العراق في كتابات اليونان والرومان"، مجلة سومر، م:٢٦، ج:١-٢ ،لسنة: ١٩٧٠، ص١٣٥؛في حين يعتقد البعض إنها في أنحاء مدينة الزبير الحالية.انظر:فؤاد جميل، العراق في القرن الرابع الميلادي بحسب وصف المؤرخ الروماني اميانوس مرشيلينوس، (لندن:دار الوراق،٢٠٠٨)، ص١٥.

دون شـك أن تكـون المدينـة الجديـدة مينـاء تجاريـا رئيسـا، يسـتوعب التجـارة البحرية الغنية القادمة من الهند ومن شبه جزيرة العرب، فضلا عن ذلك تكون رابطة بين الهند وعاصمته المقبلة في بابل. ولتهيئة عدد كاف من السكان فانه تم إسكان المدينة بالجنود المقدونيين العاجزين من بين جيوشه العائدة من الحروب في الأقاليم الشرقية، كذلك نقل سكان من مدينة دورين(Durine)(التي ما يزال تحديدها غير معروف) القريبة. وقد سكن المقدونيين في حي من المدينة سمي بيللا(Pella) على اسم المدينة التي ولد فيها الاسكندر[٢٧٨].

في بلاد فارس يشير أريان إن سكان مدينة سوسه قد أعلنوا استسلامهم للإسكندر وأعطوه ما في المدينة من أموال[٢٧٩] وإن الاسكندر قد عين في مدينة سوسة ستراب فارسي وهو ابولايتس العربي، كما عين مازاروس قائدا لحامية قلعة سوسه، وارخيلاوس قائدا أخر[٢٨٠]،كما عين ولاة فرس على ميديا، وميديا باريتاسيني(Parartacene)،وقد ابقى بارمينيون في ميديا، ومعه فرقة من التراقيين والمرتزقة كقائد موكل بالمحافظة على المواصلات البرية[٢٨١].

حاول الاسكندر كما فعل في مصر من محاولة إرساء القيم الإغريقية في إيران، ففي سوسة نقرأ عن إقامته سباق الجري بالمشاعل، ومباراة رياضية[٢٨٢].ولكن كان أهم جراءته انه أمر بجمع شبان فارس وتدريبهم على يد

---

٢٧٨) شيلدن آرثر نودلمان، "ميسان:دراسة تاريخية أولية"،ترجمة:فؤاد جميل،مجلة الأستاذ،م١٢،لسنة:١٩٦٣-١٩٦٤،ص٤٣٥؛جون هانسمان،الجغرافية التاريخية لمنطقة رأس الخليج العربي،ترجمة:عادل عبد الله خطاب،(البصرة:مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٠)،السلسلة الخاصة،العدد:٤٢،ص١-٢؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي،(البصرة منشورات دراسات الخليج العربي،١٩٨٥)،ص٣٣٢؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٤٠٩.

٢٧٩) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤١-٤٢.

٢٨٠) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٢-٤٣؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٤.

٢٨١) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٩.

٢٨٢) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٢.

مدربين من المقدونيين، واتخذهم جندا في جيش الملك الجديد، وقد تعلم ٣٠٠٠ شاب فارسي فن الحرب والعادات واللغة الإغريقية[٢٨٣].وتشير المصادر إن الاسكندر كان يبغي تنفيذ خطة دمج الشرق بالغرب، عن طريق توحيد العناصر الثلاثة الكبرى في إمبراطورتيه وهم المقدونيون واليونانيون والفرس، وليس هناك من دليل على انه ادخل في خطته هذه، أي شعب أو عنصر أخر. ويومئذ احتفل بزواج الشرق والغرب. وفي هذا الاحتفال تزوج الاسكندر من بارسين ابنة داريوس الكبرى، وباريستيس الابنة الصغرى لاوخوس الفارسي، حسب عادات الملوك العظام من الفرس، فضلا عن زواجه سابقا من روكسانا ابنة ملك سوغديانا وقد تزوج عدد كبير من ضباطه سيدات من الأسر الشريفة الفارسية، وقد طلقوهن جميعا تقريبا بعد وفاة الاسكندر. ويقال انه تم في هذا اليوم زواج تسعة آلاف جندي من نساء أسيويات. ويذكر البعض انه تم زواج ٨٠ قائدا من قادته وعشرة آلاف جندي(منهم هيفايستون الذي تزوج ابنة أخرى لداريوس، وكراتيوس الذي تزوج اماسترينة ابنة عم بارسين، وتزوج برديكاس ابنة والي ميديا، كما تزوج بطليموس ويومينيس من ابنتي ارتابازوس: ارتاكاما وارتونيس...الخ).واغلب الظن إن هذا الزواج هو الإعلان الشكلي، والتثبيت الرسمي لارتباطات زوجية كانت قد تمت من قبل. وقام الكهنة من رجال الدين المجوس واليونانيين بالصلوات والدعاء بان تتحقق وحدة من الشعوب والملل والأجناس في ظل الإمبراطورية[٢٨٤].

٢٨٣) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٨١؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٤؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

٢٨٤) باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٦؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٨؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص٢٢؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

٢.موقف سكان الشرق الأدنى من احتلال الاسكندر المقدوني.

إن محاولة فهم موقف مناطق الشرق الأدنى من الاسكندر المقدوني واحتلاله لأراضيها مسألة مهمة وقد اختلفت هذه المواقف في كل منطقة عن الأخرى، فبعض مناطق الشرق القديم قد رحبت بالإسكندر على انه محررها، والأخرى رفضت خضوعها له وقاومته بشدة، ونجد هاتين الصورتين في وقت مبكرة من تاريخ حملة الاسكندر على الشرق. إذ نعرف إن عدد من المدن اليونانية في أسيا الصغرى قد استقبلت الاسكندر بالترحاب الكبير على انه محررهم من السيطرة الفارسية(٢٨٥)،فمثلا نعرف إن الاسكندر عندما وصل إلى إقليم ليكيا لم يجابه بعداء من قبل الليكيين، ومن المحتمل انه تم الترحيب به وفتحت اكسناثوس أبوابها طواعية، كذلك باقي المدن الليكية، وذكر المؤرخ اناباسيس الاسكندري إن الليكيين قدموا (١٠) سفن شاركت أسطول الاسكندر الذي تحشد قبالة الساحل الصوري، كما قدم الليكيين وحدات من مقاتلي الفرسان اندمجت مع قوة الاسكندر شأنها شأن القوات الليدية والسورية(٢٨٦)،ولكن لم يكن الاسكندر رحيما بالمدن التي عارضت احتلاله، ونحن نمتلك أمثلة كثيرة عن مثل هذه المدن، فعندما عبر الاسكندر مضيق الدردنيل(الهلسبونت)(Hellespont) عام ٣٣٤ قبل الميلاد اعترضت مدينة لامبساكوس(Lampsacus) تقدمه، ولكنه أخطرها بالتخريب، وقد اقنع الاسكندر بالعدول عن تخريب المدينة، وفد ترأسه المؤرخ اناكزيمينيس(Anaximenes)(٢٨٧)ونعرف إن هيغسيسترا حاكم ميكال سلم المدينة إلى المقدونيين، لكن ما إن وصلها الأسطول الفارسي حتى تراجع عن

٢٨٥) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٧؛ف.دياكوف وس. كوفاليف،الحضارات القديمة،،ج٢،ص٣٩٤.

٢٨٦) ألصالحي،المملكة الحثية،ص٥٦٥.

٢٨٧)الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٧.

موقفه وصمم على مواصلة القتال، في وقت أعلن به السكان المحليون الحياد، لكن الاسكندر مع ذلك ضرب المدينة التي دافع عنها المرتزقة اليونانيون حتى الموت. كما رفضت مليتوس الاستسلام، وبعد مقاومة هدمت خلالها المدينة وأعلنت استسلامها[٢٨٨].ونعرف إن مدينة هاليكارناسوس عارضت الاسكندر، وكان ممنون وهو قائد المرتزقة الإغريقي في جيش الفرس بنفسه يتولى قيادة حاميتها ومعه اورنتوباتيس حاكم كاريا، الذي خلف بيكسوداروس ومعهم بعض المنفيين من المقدونيين. وقد فرض الاسكندر الحصار على المدينة، وقد أبلى المحاصرون بلاء حسنا في القتال، وتمكنوا من مهاجمة أدوات الحصار الخاصة بالإسكندر مشعلين في بعضها النيران، وقتلوا احد حراس الاسكندر واسمه بطليموس، كما قتلوا غيره من الضباط. ولما أصبحت المدينة في أخر الأمر لا سبيل للدفاع عنها احرقوا ما لديهم من ذخيرة ومستودعات ولاذوا بالفرار، وقد وكل الاسكندر إلى شخص يدعى بطليموس أيضا ومعه ٣٢٠٠ من المرتزقة، أمره بإخضاع كاريا حيث كان اورنتوباتيس لا يزال معتصما في قلعة سالاماكيس. وقد استطاع الأخير بفضل المساعدة التي لقيها في اغلب الظن من اغيس ملك إسبارطة، أن يصمد، ولكنه في النهاية هزم على يد بطليموس واساندر، على إن إتمام إخضاع كاريا لم يتحقق إلا في عام ٣٣٢ قبل الميلاد[٢٨٩].

في سوريا يبدو إن موقف السكان هناك اختلف بين قابلٍ للسيطرة المقدونية أو رافض لها، فالمعروف إن أولى المدن التي أعلنت رفضها لسيطرة الاسكندر المقدوني كانت مدينة صور الفينيقية، التي حاصرها الاسكندر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ،في وقت أعلنت مدينة صيدا ومدنا فينيقية أخرى مثل: أرواد، وبيبلوس الاستسلام للإسكندر، وعندما بلغت أخبار استسلام هذه المدن بحر

٢٨٨) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

٢٨٩) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٤٨-٤٩؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص٣٨٩.

ايجة هربت سفنها التي كانت في خدمة الفرس، وعادت إلى أوطانها. وتشير المصادر إن الاسكندر عندما وصل إلى فينيقيا قابل وفدا من صور عارضين عليه الخضوع والاستسلام بصورة عامة، ولكن الاسكندر لم يكن واثقا كل الثقة بهذا الإعلان لذا طلب السماح له بدخول المدينة لتقديم القرابين والتضحيات لجده الأعلى هرقل (كان هرقل يوازي ميلكارت عند اليونانيين).فكان ردهم على طلب الاسكندر إنهم لن يسمحوا باستقبال احد من الأغراب في المدينة سواء أكان من الفرس أم من المقدونيين. على أنهم أشاروا بوجود حرم مشهور لميلكارت في صور القديمة على البر الأصلي، وفيه قد يجد الاسكندر ضالته المنشودة مما يفي بمطالب ورعه[٢٩٠].

لا يمكن تصديق هذه الرواية كحقيقة تاريخية وذلك لعدة أسباب منها: إن المدن التي أعلنت خضوعها للإسكندر ومنها المدن الفينيقية لم يحاول الأخير أن يبرهن عن صدقهم بل تقبل خضوعهم فقط، فضلا عن ذلك إذا كانت صور قد أعلنت استسلامها فلماذا تمتنع عن دخول الاسكندر إليها، هذا نحن إذا صدقنا الرواية كما هي فإنها تخبرنا بوجود مزار لميلكارت في البر خارج صور أو صور القديمة كان يمكن للإسكندر أن يذهب إلى هناك لتقديم قرابينه، لذا فالأرجح إن الرواية مختلقة أرادت أن تعطي السبب الذي من وراءه رفض صور احتلال الاسكندر لها.

تمكن الاسكندر بمساعدة المدن الفينيقية، وسفنها الحربية من اقتحام مدينة صور عنوة، بعد حصار دام سبعة أشهر وكانت صور تتوقع المساعدة من قرطاجة حيث بعثت بشيوخها وأطفالها ونسائها إلى هناك ليبقى الرجال يقاومون الاسكندر ولكن أملها خاب وخضعت هذه المدينة - بعد إن قتل من الصوريين ٨٠٠٠ من محاربيهم- للإسكندر فدمرها الأخير واعدم ٢٠٠٠ من سكانها، وباع ما

---

٢٩٠) انظر هذه الرواية في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص٧٣-٧٤.

يقدر بثلاثين ألفا نهم عبيدا، واحتفل القائد المقدوني بنصره بإقامة الألعاب والشعائر الدينية وتقديم الذبائح في معبد ميلكارت[٢٩١].

لم يلق الاسكندر مقاومة في فلسطين إلا من مدينة غزة التي قاومت لمدة شهرين، وقيل ثلاثة أو خمسة أشهر، ودافع عن غزة قائد أطلق عليه اريانوس اسم باتيس (ربما باطش) على رأس جيوش عربية أذاقت الاسكندر الأمرين، وكاد باتيس وقواته ينتصرون لولا وصول التعزيزات لجيش الاسكندر وأصيب الاسكندر نفسه بجراح. وان فتك الاسكندر بأهالي غزة يصور مدى غضبه من مقاومتهم الشديدة له، فقد أبيدت الحامية واقتيد قائدها وذبح على أسوار المدينة وبيع سكانها عبيدا، واستولى الاسكندر على مخازن ضخمة من التوابل لان المدينة كانت المستودع الرئيس لمنتجات الجزيرة العربية[٢٩٢].

لا نعرف موقف الجالية اليهودية في فلسطين من تقدم الاسكندر المقدوني، ويخبرنا المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس (٣٧-١٠٠م) بأن الاسكندر خلال حصاره لصور طلب من سمعان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية في القدس إرسال جيوش له، ولكن الأخير رفض على أساس ارتباطه بالملك الفارسي، ولا نعرف صحة هذا الخبر، ولاسيما وأننا نعرف انه لم تكن من إجراءات الاسكندر طلب من سكان المناطق التي يحتلها الانخراط في صفوف جيشه، أو حتى التطوع في القوات التي كان يبقيها للمحافظة على الأمن الداخلي. فلماذا يسأل الاسكندر الجالية اليهودية القليلة العدد بالذات بتقديم متطوعين لجيشه؟ يرى الأستاذ سامي سعيد الأحمد إذا كان هذا الخبر صحيحا فربما يكمن سره في معرفته احتمال تسليح الفرس لإفراد هذه الجالية، واعتمادهم

---

٢٩١) باقر،مقدمة،ج٢،ص٣١١؛سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم ،ص٣٧٦-٣٧٧؛برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٣؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص١٦.

٢٩٢) سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم ،ص٣٧٧؛ برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٣؛سامي سعيد الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٨)،ص٦٠.

عليهم في حفظ الأمن في البلاد ضد أية حركة قد تصدر من الأكثرية، وبدو الصحراء القريبين، لاسيما والقدس ذات موقع استراتيجي هام[٢٩٣].

لكن لا يمكن قبول هذه الرواية، وربما ساقها جوزيفوس للتدليل على أهمية هذه الجالية في فلسطين وقوتها. ويستمر جوزيفوس بالقول ما إن أنهى الاسكندر احتلاله لصور وغزة حتى رأى الكاهن الأعلى للجالية اليهودية حلما دعاه إلى الاستسلام للقائد المقدوني. فإذا كان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية باتفاق مع داريوس الثالث الملك الفارسي فلماذا لم يساعد الأخير وهو في فترة كان فيها بأمس الحاجة للمساعدة إن كان حقا يقدر الالتزامات ويحترم العهود؟ والواقع إن الكاهن الأعلى إذا أخذنا كلام جوزيفوس مأخذ الحقيقة لم يتقدم لمساعدة سيده الملك الفارسي، بل انتظر ما تتمخض عنه هجمات الاسكندر على صور ثم غزة اللتين كانتا أقوى المدن في سوريا وفلسطين، فلما انتصرت الجيوش المقدونية ودخلت المدينتين المذكورتين تذرع الكاهن بحجة الحلم[٢٩٤].

لكن يمكن النظر إلى رواية جوزيفوس على إنها محض اختلاق، فالجالية اليهودية القليلة العدد لا يمكن إن يعول عليها كل من داريوس الثالث أو الاسكندر المقدوني، لاسيما وان مقاومة غزة للإسكندر يعد حدثا هاما للفرس، وإن الفرس إن أرادوا أن يعتمدوا على احد في فلسطين فيجب أن يكونوا السكان الأكثرية من كنعانيين وعرب، لاسيما وان مقاومة غزة قد قادها العرب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تكن الجالية اليهودية قوية كفاية لكي يطلب الاسكندر منها المساعدة لاسيما أثناء حصار صور، وهي المدينة القوية التي طالما استعصى فتحها على أقوى الجيوش فلماذا يحتاج الاسكندر مساعدة الجالية اليهودية؛ وان قصة الحلم الذي جاء مبررا لرئيس الجالية اليهودية تؤيد الاستنتاج، لذا

---

٢٩٣) الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، ،ص٢٨٦.

٢٩٤) المصدر نفسه، ص٢٨٦-٢٨٧.

يمكن أن نتصور الأمر إن الاسكندر لم يراسل أصلا الجالية اليهودية، وعندما اقترب من القدس عمل هؤلاء على كسب وده كما فعلوا في السابق مع الفرس، وان هدف جوزيفوس هو محاولة الدفاع عن بني جلدته وإظهارهم بمظهر القوي. على أية حال فان القدس قد استسلمت للإسكندر، دون مقاومة تذكر بل رحبت به الجالية اليهودية ترحيبا منقطع النظير، ويظهر إن الاسكندر قد سمح لهذه الجالية في القدس أن تعيش وفق قوانينها الدينية، وعاداتها الخاصة، وعفا أفرادها من الضرائب لتلك السنة(٣٣٢ قبل الميلاد) حتى قيل انه صلى في المعبد[٢٩٥].ويذكر جوزيفوس في رواية أخرى إن يهود القدس طلبوا من الاسكندر أن يسمح لليهود في بلاد بابل وميديا أن يعيشوا حسب شرائعهم، إلا انه لم يذكر احد من كتبة سيرة الاسكندر هذه المسألة، ولهذا ارتأى الأستاذ هويلر إن القصة موضوعة وضعها اليهود المتهلنين أي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الأول الميلادي، لكي يثبتوا إن علاقة اليهود قديمة باليونانيين من عهد الاسكندر[٢٩٦].

نقرأ في المصادر عن وفد من السامريين قابل الاسكندر، ودعاه إلى زيارة مدينة شخم واخبروه بأنهم ليسوا بيهود بل صيدونيين[٢٩٧]! ولا نعرف السر في ذلك، ولكن من غير شك أرادوا تمييز أنفسهم عن اليهود فكما هو معروف إن يهود السامرة يختلفون عن اليهود في كثير من الجوانب حتى في بعض المعتقدات الدينية. ولكن فيما بعد نقرأ إن أهالي السامرة قد قاموا بثورة عارمة احرقوا خلالها الحاكم اندروماخوس حيا لا نعرف أسبابها وتفاصيلها كانت نتيجتها إن قام برديكاس بإجلاء سكان المدينة وإسكان مقدونيين بدلا عنهم[٢٩٨].

---

٢٩٥) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧ ؛الأحمد،فلسطين،ص٦٠.

٢٩٦) غنيمة،نزهة المشتاق،ص٨٤.

٢٩٧) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧.

٢٩٨) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص٢٨٧ ؛الأحمد،فلسطين،ص٦٠.

في مصر تشير المصادر إن الاسكندر قوبل بالترحاب من قبل المصريين الذين اخذوا يرون بالإسكندر الأخذ بالثأر لهم من الفرس، وربما يكمن السبب في أن السنوات الأخيرة للحكم الفارسي في مصر قد تميزت بالقسوة والاضطهاد واهانة المصريين في دياناتهم ومعتقداتهم[٢٩٩].لا نعرف صحة هذه الرواية، ورغم إننا لا نمتلك ما يشير إلى عكسها إلا إن قسوة الحكم الفارسي في مصر ليس كافيا ليجعل المصريين يرون بالإسكندر على انه محررهم، وحتى ولو افترضنا صحة الرواية فلابد وان المصريين قد تغيرت فكرتهم عن الاسكندر وفتوحاته بعد السياسة التي نفذها المشرف على الخزانة كليومينيس النقراطيسي، وهو الموظف الذي اشتهر بابتزازه للمعابد المصرية ومحاولته اهانة مقدسات المصريين.

في بابل يتحدث كل من كونتوس كوريتوس واريان إن الاسكندر عندما دخلها استقبله ورجاله الناس الذين تدفقوا فارشين الشوارع بالزهور حتى كانت فرق من الكهنة تنشد، ويمكن أن نقرأ وصف أريان لدخول الاسكندر إلى بابل: "خرج البابليون إلى استقباله على بكرة أبيهم، وكان في مقدمتهم الكهنة والحكام، وكل يحمل هدية ويعرض استسلام مدينة أو قلع، ويقدم ماله"[٣٠٠].ويعلق بوتس على ذلك بان هذا كله أوبرا وليس تاريخا [٣٠١].

يرفض البعض هذه الصورة على أساس إن السياسية الفارسية القاسية تجاه بابل ليست كما تصور، فالمعروف إن داريوس واحشويرش، قد دمرا معابد بابل في أثناء الانتفاضات البابلية الفاشلة. لذلك فان الاسكندر عد

---

٢٩٩) سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص٢١٨؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٨؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص٧٩؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٥.

٣٠٠) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٣٦.

٣٠١) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٣٩٧-٣٩٨.وقد أيد بعض المؤرخين الكتاب الإغريق في مسألة استقبال البابليين للاسكندر.انظر:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩؛ألصالحي،العمارة،ص١٨٨؛ اوتس،بابل،ص٢١٢.

محررا لبابل، ولكن هذه الصورة لا يمكن قبولها فترات احشويرش في تدمير المعابد البابلية قد كشفه م.كورت وس.شيرون-وايت بأنه ابتداع متأخر من غير أساس[٣٠٢].وكان الأستاذ جورج رو قد نبه منذ وقت طويل إلى هذه الحقيقة، إذ يقول إذا كان هيرودوتس قد قام فعلا بزيارة بابل بعد ثورتها الأخيرة على احشويرش، بعشرين عاما فان وصفه يسمح لنا بالاستنتاج بأنها قد عانت أذى قليلا بدرجة ما. وفي الحقيقة فان هيرودوتس يكتفي بذكر إن احشويرش قد سلب من ايساگ-ايلا (معبد الإله مردوك في بابل) التمثال الكبير للإله مردوك المصنوع من الذهب. غير إن كتابات المؤرخين مثل: أريان، وكيتسياس، وسترابو توحي لنا بان أسوار المدينة قد أزيلت، وان المعابد قد سويت بالأرض، ولما كان اسم ايساگ-ايلا، والمعابد الأخرى يتكرر وروده في نصوص متأخرة، لذلك فمن المحتمل أن تكون تلك المعابد قد خربت جزئيا وتهدمت في القرون اللاحقة بسبب تركها دون صيانة[٣٠٣]. فإذا كانت الرواية القائلة بتدمير بابل من قبل احشويرش محض اختلاق فلماذا عُد الاسكندر محررا؟ لا يمكن قبول فكرة استقبال البابليين للإسكندر على انه محرر، وان الروايات التي حيكت حول استقبال الاسكندر من قبل البابليين كما نقلها مؤرخو الاسكندر لا يمكن قبولها كمسلم تاريخي. فالأستاذ كورت قد عرض بوضوح إن أوج الاستقبال الحافل للبطل الفاتح، بمناسبة دخول الاسكندر بابل، يشابه تماما الترحيب الذي تلقى به مواطنو بابل سرجون الأشوري عام ٧١٠ قبل الميلاد، ثم كورش الكبير في ٥٣٩ قبل الميلاد، بصرف النظر عن تدفق الحماسة العفوي، فإن مثل هذه المناسبة

---

٣٠٢) بوتس، حضارة وادي الرافدين، ص٣٩٨؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج٢، ص٣٩٥.

٣٠٣) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤)، ص٥٤٨؛ وحول رواية هيرودوتس الخاصة بسلب تمثال الرب مردوك انظر، هيرودوتس، ١ :١٨٣. في: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٧).

الاحتفاليـة التي نظمهـا تنظيمـا جيـدا كـلا الطـرفين بعـد الأمـر الـواقـع بالنصـر العسـكري الكبيـر، وهـرب أو اسـر أو استسـلام المـدحور، تمثـل نتيجـة نهائيـة لمفاوضـات معقـدة فرضتها على المـواطنين ظروف غير مرغـوب فيها، وكمـا لاحـظ ب.بريانـت انـه بغـض النظـر عـن التـدهور نتيجـة الضـرائب الباهظـة التي فرضـها الملك الاخميني فـان بلاد بابـل مرت بفترة مـن الهـدوء والرخـاء، وهـذا يجعـل المـرء يفهـم على النقـيض مـن الفرضـية المسـتقاة مباشـرة مـن مـادحي الاسـكندر وان الصـفوة البابليـة المثقفـة لـم تعـد الانتقـال مـن الهيمنـة الفارسـية إلى الهيمنـة المقدونية تقدما[٣٠٤].

من ذلك نخلص انه بشكل عام فان فكرة استقبال البـابليين للإسكندر بهذه الطريقة الموصوفة في الأدبيات الإغريقية التي كتبت حول سيرة الاسكندر لا يمكن عدهـا ذات أسس تاريخية، فمؤرخـو الاسكندر لابد وان أضـافوا الكثير مـن الخيـال الخـلاق عنـد تـدوينهم سـيرة ذلـك القـائد المقـدوني الـذي تمكـن في غضـون أربعـة أعـوام فقـط مـن إسـقاط واحـدة مـن أقـوى الـدول في العـالم القـديم والـد أعـداء بلاد اليونـان. مـن جانـب أخـر نمتلـك روايـة لـدى اريـانوس ذا مغـزى خـاص يمكن أن تقدم لنـا إضـاءة حـول قضـية ترحيب البـابليين بالإسكندر كمحـرر تقـول الروايـة: "عنـدما كـان الاسـكندر وجيشـه يعبران دجلـة متجهين إلى بابـل اسـتقبله الفلاســفة الكلـدان(الكهنــة البــابليين) وانحــوا بــه جانبــا، بعيــدا عـــن (الأصحاب)،ورجوه أن يتوقـف عـن زحفـه على المدينـة. لقـد اعلمـوه إن الإلـه بيـل أوحى إليهم إن دخوله بابل في ذلك الوقت بعينـه ليس في صـالحه"[٣٠٥].هل كانت هـذه نبـوءة عرافيـة أم رغبـة بابليـة بعـدم دخـول الاسـكندر بابـل، صـحيح إن الاسكندر دخل بابل من غير حرب، ولكن يبدو إن السكان لم يكونوا راغبين في

---

٣٠٤) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص٣٩٨.

٣٠٥) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص٤٦.

استبدال حكم فارسي بأخر مقدوني، ويمكن أن نصل إلى هذه القناعة إذا ما تابعنا رواية أريان التي تتحدث عن رد فعل الاسكندر على هذه العرافة: "خامر الاسكندر شك في نصيحة الكلدان، وجال في خاطره إنهم يحاولون صده عن زحفه على بابل لأنهم ينظرون إلى مصلحتهم الخاصة لا النزول على ما جاء في النبوءة"[٣٠٦].ويحاول أريان أن يعطي تفسيرا لذلك ويقول إن الكهنة البابليين لم يكونوا يريدون أن يقوم الاسكندر بترميم معبد مردوك لأنهم كانوا يستحوذون على كل الذهب الموقوف للمعبد فإذا ما قام الاسكندر بترميم المعبد فان كل هذا الذهب سيعود إلى المعبد ما إن يكتمل[٣٠٧].يبدو إن هذا التعليل غير منطقي فالكهنة وان كانوا يستحوذون على الذهب المفترض أن يكون عائدا لمعبد مردوك فانه بعد بناء هذا المعبد سيبقون هم القوة المسيطرة الوحيدة على واردات المعبد، فإدارة المعبد كما هو معروف في بلاد الرافدين بيد الكهنة، وليس هناك من إشارة إلى إن الاسكندر حاول التدخل في شؤون المعابد في المناطق المحتلة، باستثناء الإشارة الخاصة بالنسبة إلى كليومينيس، وابتزازه المعابد المصرية، وهذا أمر طبقه احد إداري الاسكندر بعد مغادرته المدينة وليس بأمر منه. فإذا كان السبب الذي أعطاه أريان واه فلماذا حذر الكهنة البابليون الاسكندر من دخول بابل، بلا شك إن الهدف من ذلك سياسي، فالبابليون رافضون لاحتلال الاسكندر، ولكنهم غير قادرين على مقاومة الاسكندر وجيشه لذا لجئوا إلى العرافة لعلها تقنعه بمغادرة المدينة.

لا نمتلك معلومات عن موقف الفرس من الاسكندر المقدوني، ولكن انضمام الشبان الفرس في جيش الاسكندر يوحي بعدم وجود ميول عدائية ضده في بلاد فارس، ولكن مع ذلك لا يمكن أن نسلم إن الفرس بأجمعهم لم يظهروا

---

٣٠٦) المصدر نفسه،ص٤٧.

٣٠٧) المصدر نفسه،ص٤٩.

عدائهم للإسكندر، وفي اقل تقدير لابد وان كان أولئك الذين كانوا ماسكين بزمام السلطة السياسية من الفرس في بلاد فارس قد كانوا معادين له، لأنهم فقدوا امتيازاتهم السابقة بسقوط الدولة الاخمينية، وينسحب الأمر كذلك على رجال الدين من الزرادشتيين الذين تضررت مصالحهم بغياب حماتهم من ملوك الفرس، ونحن نمتلك رواية تشير إلى الضرر الذي لحق بالديانة الزرادشتية من جراء غزو الاسكندر المقدوني، فطبقا للروايات المتداولة عن الافستا(الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية) والتي يتناقلها رجال الدين الزرادشتيين، انه توجد في العصر الاخميني نسختان فقط من الافستا إحداهما محفوظة في البلاط الشاهنشاهي في برسيبولس، والثانية محفوظة في مقر معبد النار اذركشسب، وان الاسكندر المقدوني عندما هزم الجيوش الاخمينية، وأطاح بعرش داريوس الثالث عام ٣٣١ قبل الميلاد ووصل إلى تخت جمشيد عن طريق سوسة احرق القصر الملكي وراحت النسخة المحفوظة في القصر طعمة للنيران، أما النسخة الثانية، والتي كانت في معبد النار اذركشسب، فان الاسكندر أمر بان ترسل إلى اليونان وتترجم هناك[٣٠٨].فإذا صحت هذه الرواية فلابد وان كان رجال الدين الزرادشتيين حانقين جدا على الاسكندر المقدوني ذلك القائد الذي تسبب في ضياع النصوص المقدسة لديانتهم. وهناك رواية تعرف بين الزرادشتيين باسم: "كتاب عن فيراز الصالح"(أردا فيراز ناماك)،وهذا الكتاب يعود إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي، ويعد من الآداب الزرادشتية الأكثر انتشارا وقراءة، بين الزرادشتيين، نقرأ فيه معلومات يمكن أن يستفاد منها لمعرفة موقف الزرادشتيين من الاسكندر والرواية تقول: "هكذا يقال بان زرادشت الصالح نشر في زمن ما الدين على الأرض، الذي أوحى (به) الإله له، وظل هذا الدين محافظا على نقائه، ولم يتعرض الناس للشك فيه لمدة ثلاثمائة سنة. من ثم،

---

٣٠٨) عبد السلام عبد العزيز فهمي،تاريخ اللغة الإيرانية،(الفجالة:مطبعة شاتو،١٩٧٢)،ص٤١.

لتجبر روح الشر القذرة والملعونة،(دفعت)الناس على الشك بهذا الدين،(و) أرسلت الرومي المقيم في مصر الكسندر إلى إيران ليقوم بنهبها ونشر الرعب فيها، فقتل ملك إيران، ودمر قصره وسلب دولته. ذلك الآثم، الملعون، الحقود، الرومي، السافل الكسندر المقيم في مصر، جمع الكتب الدينية واحرقها، وبالأخص افستا والزند[تلك الكتب] التي كتبت بأحرف ذهبية على جلود الأسود، المجهز لهذا الغرض، وحفظت في مدينة اصطخر... وهو (الذي) قتل أيضا الكثير من رؤساء الكهنة، والقضاة، والهرابذة، والموابذة، أنصار الزرادشتية، وحكماء إيران، وشخصياتها المعروفة.(و)زرع الكسندر الضغينة، والفتنة بين النبلاء وبعض حكام إيران، وصاروا يعادون بعضهم بعضا نتيجة عمله هذا، ولكن الاسكندر نفسه هلك ودخل الجحيم"[٣٠٩].

رغم الأخطاء التاريخية في رواية أردا فيراز نامك إلا إنها تشير إلى ذكريات ذلك العمل الذي ارتكبه الاسكندر في تدمير الكتابات المقدسة الزرادشتية. ولكن هل بالفعل عمل الاسكندر على تحطيم الزرادشتية، لا نمتلك معلومات تشير إلى عكس ذلك، ولكن يمكن أن نثق بالرواية الزرادشتية لان فيها الكثير من الوجاهة، فاقل تقدير ربما بالفعل حرقت نسخة الافستا عندما أقدم الاسكندر على حرق القصر هناك، هذه الحالة التي تشير إليها الرواية الإغريقية أيضا[٣١٠]،وربما كان الزرادشتيون يعتقدون إن حرق نسخة الافستا كان عملا مقصودا من الاسكندر.

---

٣٠٩) افستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،تحرير:خليل عبد الرحمن وآخرون،(دمشق:روافد للثقافة والفنون٢٠٠٨)،ص٨٧٠-٨٧٢.

٣١٠) حول مسألة حرق القصر في برسيبولس انظر:باقر،مقدمة،ج٢،ص٤٤٦؛سليمان والفتيان،محاضرات،ص٢١٨؛برن،تاريخ إيران،ص٤٣٤؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩؛باقر،مقدمة،ج١،ص٦٥٢.

٣.النتائج الفعلية لغزو الاسكندر المقدوني للشرق الأدنى

لقد كان لاحتلال الاسكندر المقدوني للشرق بداية فعلية لمتغيرات سياسية وحضارية بعيدة المدى، إذ سمح هذا الاحتلال، وعلى نطاق واسع باحتكاك شديد بين الحضارتين اليونانية(الهلينية) والشرقية، وكان ذلك الاحتكاك قد استمر في عهد الاسكندر، وخلفائه السلوقيين والبطالمة. وكان من نتائجه بروز عناصر حضارية طبعت إقليم الشرق وسكانه، وهذه العناصر الحضارية تستمد مقوماتها من تراث الحضارة القديمة مع التأثيرات الهلينية، لذا يصطلح على تسمية السمات الحضارية الجديدة أو هذه المرحلة الحضارية، وبكل خصائصها السياسية والاقتصادية بمرحلة الحضارة الهلنستية[٣١١].

ان السؤال الذي يبرز هل إن الحضارة الهلنستية هي نتاج غزو الاسكندر المقدوني للشرق وحسب؟ هل هناك من عوامل قد مهدت إلى هذا الامتزاج الحضاري أو يمكن إن نسميه الوحدة الحضارية التي عمت الشرق؟. هل من أدلة على تأثيرات شرقية بعيدة المدى في مهدت لظهور الحضارة الهلنستية؟.

إن أدلة يمكن أن نسوقها هنا لإثبات إن الشرق هو الذي قد بدأ الخطوة الأولى نحو هذه الوحدة الحضارية، وعلى الأقل هناك عوامل مهمة مهدت الأرضية المناسبة لظهور الحضارة الهلنستية بهذا الشكل السريع أي مباشرة بعد دخول الاسكندر للشرق. وأول هذه العوامل هي الدولة الأشورية وبالأخص ما يعرف باسم سياسة الترحيل الأشورية كما لاحظ الأستاذ هاري ساكز المتخصص في الأشوريات. يتحدث الأستاذ ساكز، ويقول انه من المحتمل كانت أكثر المساهمات الأشورية إلى تاريخ العالم أهمية هي سياستهم في ترحيل السكان، إذ كان عدد السكان الذين تأثروا بالترحيل الأشوري كبيرا، وقد قدر العدد في القرون الثلاثة الأخيرة من عهد الإمبراطورية الأشورية إلى ما يقرب من

---

[٣١١]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٢٩.

أربعة إلى خمسة ملايين. وان أهمية ذلك على الأمد البعيد هو التأثير على الاختلاط العرقي. فالاعتبارات الجغرافية، والجبال والأنهار، والصحاري، مجتمعة مع العوامل التاريخية التي عملت على تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق منفصلة تتجه نحو الانعزال. وكانت سياسة الترحيل الأشورية من أكثر القوى فاعلية في بدء عملية كسر الانعزال. وفي بعض مدن وعواصم بلاد أشور نفسها كان الأشوريون عرقيا يكونون الأقلية لان أقواما من لغات وأجناس أخرى غير الأشوريين قد استقروا هناك، وعوملوا كمواطنين متساوين مع غيرهم. ومع استمرار عملية الاستيطان هذه، المفروضة بالقوة، في جميع أرجاء الحكم الأشوري، كان هناك زيادة كبيرة في الاختلاط العرقي يقابله إضعاف الخصوصية العرقية. ولم تكن هذه عملية سريعة ولم تظهر نتائجها مباشرة إلا إنها مهدت الطريق للوحدة الحضارية المتزايدة في جميع أرجاء المنطقة. وقد اثر ذلك على التاريخ التالي لكل الشرق الأدنى. لقد وفرت عملية كسر الانعزال أرضية متجانسة جعلت من الممكن طبع الشرق الأدنى بطابع الهلنستية بعد الاسكندر[٣١٢].

يمكن أن نلاحظ عامل أخر عمل على إعطاء الشرق القديم طابع الوحدة الحضارية وهو عامل اللغة الآرامية. فمنذ القرن السابع قبل الميلاد أخذت الآرامية بالانتشار، وبدأت تقتحم معاقل اللغة الاكدية، وعندما كان الملوك الأخمينيون يفتشون عن لغة مفهومة وسهلة بالنسبة لجميع الشعوب المختلفة التي خضعت لهم اختاروا اللغة الآرامية، وسرعان ما انتشرت الآرامية بقوة لدرجة إننا نجد إن عملة الحكام، وأمراء القبائل الذين كانوا في أسيا الصغرى كانت تحمل نقوشا أرامية، إلى جانب اللغة الإغريقية، وقد استخدم

٣١٢) هاري ساكز،قوة أشور،ترجمة:عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩)،ص٣٧٨-٣٧٩.

بعض أشراف هذا العصر اللغة الآرامية في نقشين من نقوش أسيا الصغرى؛ واحد هذين النقشين يستخدم الإغريقية إلى جانب الآرامية. وان اللغة الآرامية نفسها قد امتدت في أسيا الصغرى حتى وصلت الدردنيل وسينوب على البحر الأسود. ومن مصر وصلتنا نقوش أرامية ترجع إلى العصر الفارسي منها: واحدا يرجع بتاريخه إلى السنة الرابعة من حكم احشويرش أي عام ٤٨٢ قبل الميلاد. هذا وقد وجدت نقوش أرامية قديمة في داخل الجزيرة العربية في واحة تيماء شمال الحجاز، وربما ألف أقدمها بل أهمها قبل العصر الفارسي؛ وقد دخلت الآرامية هنا عن طريق التجارة. ويمكن أن نتعرف أيضا على فصول أرامية في العهد القديم، وان بعض فصول سفر عزرا الآرامية، ربما دونت في العصر الفارسي[٣١٣].بلا شك كان انتشار اللغة الآرامية الكبير ساعد بشكل واسع على تناقل الأفكار، وفهمها بين عدد كبير من شعوب الشرق القديم، وكسر الحواجز الفكرية بين شعوب الشرق القديم، ومهد الطريق للوحدة الحضارية، الأمر الذي يمكن عده عامل مهم من العوامل الممهدة لانتشار الهلنستية فيما بعد.

ولعل عامل لا يمكن إخفاءه هنا يقدم لنا تفسيرا عن سبب الانتشار السريع للهلنستية بمقدم الاسكندر المقدوني، إلا وهو الاحتكاك بين الشرق والغرب في عصر الدولة الاخمينية السابق لغزو الاسكندر الكبير. وترجع بدايات الاحتكاك إلى عهد كورش الكبير مؤسس الدولة الاخمينية، عندما اجتاح دولة ليديا في أسيا الصغرى، واجتاح أيضا بعض المستوطنات اليونانية في غربي أسيا الصغرى. وازداد هذا الاحتكاك تعمقا بعد مشاريع داريوس الكبير العسكرية، عندما عبر البوسفور وتعقب ملوك قبائل الساكا، وبلغ في تحركاته نهر الدانوب

---

٣١٣) حوا انتشار اللغة الآرامية انظر:تيودور نولدكة،اللغات السامية،ترجمة:رمضان عبد التواب،(القاهرة:دار النهضة العربية،١٩٦٣)،ص٥٠-٥٢؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ اللغات الجزرية-مطبوع ضمن كتاب:حضارات الوطن العربي أساسا للحضارة اليونانية،(بغداد:مطبعة إيلاف،٢٠٠٣)،ص١٤٥-١٤٦.

فخضعت الكثير من المستوطنات اليونانية على الساحل الأسيوي، وبعض الجزر القريبة لسيطرته، كذلك الاحتكاك باليونانيين من خلال مقاطعة مقدونيا. أما الحروب الفارسية(٤٩٠-٤٨٠قبل الميلاد) بين اليونانيين والفرس فإنها قد نقلت الاحتكاك الخارجي بين الطريفين إلى واقع يعيشه آلاف من جنود المتخاصمين يوميا، فضلا عن الأسرى من الطرفين الذين نقل بعضهم إلى قصور الملوك والأمراء في المدن والعواصم. ويمكن أن نتذكر أيضا بهذا الخصوص عهد ارتحششتا الأول، ذلك العهد السلمي بين الأخمينيين واليونانيين، والذي هيأ الفرصة أمام العديد من المؤرخين، والعلماء، والفلاسفة، اليونانيين للتوغل في أقطار الشرق الخاضعة للأخمينيين ،ومن هؤلاء هيرودوتس، الذين ساعدوا في عملية التفاعل الحضاري بين المركزين. وهكذا نجد بذور الهلنستية تغرس في العصر الاخميني الذي مثل العالم الشرقي بأسره. وكانت سبل المواصلات في هذا العصر متطورة إلى حد بعيد، وذلك بفضل المواصلات البحرية التي تطورت كثيرا بفضل الفينيقيين أو البرية التي ازدهرت طرقها الصحراوية بفضل الجمل وأصحابه التجار العرب، أو في الطرقات الأخرى التي بذل الأخمينيون جهدا ملحوظا منذ أيام داريوس الكبير على شقها ورصفها بالحجارة، وزرع نقاط الحماية على طولها، وقد عثر على نقود يونانية في معظم الأقاليم الغربية للدولة الاخمينية، وبعضها يرجع للقرن الخامس قبل الميلاد، ومعظمها يعود للقرن الرابع قبل الميلاد. وجاءت هذه المسكوكات من بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين وجنوبي الجزيرة العربية. وتؤكد المكتشفات الاثارية من الصناعات الإغريقية في سوريا وفلسطين وإيران والعراق عن تطور الاتصالات بين العالمين الشرقي والغربي. وهكذا أصبح العالم القديم بشقيه الشرقي والغربي مهيأ لقبول المتغيرات النوعية في الحياة المادية والفكرية. ويرى البعض انه لو تهيأت للفرس الأخمينيين السيطرة الناجزة على بلاد اليونان مركز الحضارة والفكر الغربي، ولو

لم يكن الأخمينيون دعاة ديانة جديدة ،تعصبوا إليها كثيرا، وهي الزرادشتية التي كـان انتصـارها في إيـران بفضـل الأخمينيـين فلربمـا بـرزت عناصـر الحضـارة الهلنستية قبل تاريخها بوقت طويل[٣١٤].

من ذلك نخلص إن الهلنستية ليست نتاج للغزو الذي نفذه الاسكندر المقدوني للشرق بقدر ما هو نتاج مباشر للمدنية الشرقية القديمة، فالأشوريون ساهموا أولا في كسر الانعزال الفكري، والجغرافي في أنحاء الشرق، وكان للغة الآرامية دورها الفاعل في توحيد العالم القديم فكريا، وساهم وجود الدولة الاخمينية في وضع كل تجارب الشرق السابقة أمام اليونانيين، وأعطوا اللمسات الأخيرة في جعل الطريق ممهدا أمام الاسكندر المقدوني لتنفيذ عملية نشر الهلنستية التي أصبحت جاهزة.

إن دراسة هذه الحقبة تشكل أهمية خاصة لمعرفة النتائج الحقيقية المترتبة على غزو الاسكندر لمقدوني للشرق ،فمن جانب استولى الإغريق بزعامة الاسكندر المقدوني على الإمبراطورية الفارسية بكاملها، ونقلوا نظام دولة المدينة (Polis) الاقتصادي حتى نهر السند وجيحون. وقد جعلت غزوات الاسكندر مصر، واسيا الغربية منطقة من مناطق النظام الثقافي والاقتصادي اليوناني، ومن نتائج هذه الفتوحات إنها فتحت أسيا للتجارة، وللاستعمار اليوناني، ولهذا خففت مؤقتا من وطأة الأزمة الاقتصادية التي تمر بها بلاد اليونان. وفي هذه المنطقة الجديدة الواسعة كانت تستعمل لغة يونانية واحدة، لذلك أصبحت الأفكار تنتقل بحرية، وعملت وحدة النقود، والطرق الجديدة، والمرافئ، والمنازل المحسنة، والسفن الكبيرة، على تسهيل المعاملات التجارية. وان ضم الإمبراطورية الفارسية لم يكن مجرد تغير في السلالة الحاكمة بقدر ما كان احتلال عالم

---

[٣١٤]) انظر هذا التحليل في:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص١٣٥-١٣٦.

جديد للاستعمار اليوناني[٣١٥].لكن من ناحية أخرى أدى تدمير الإمبراطورية الفارسية، إلى قيام هيمنة جديدة مؤسسة على استعباد شرس للسكان الأصليين على يد الإغريق والمقدونيين، وان هدم إمبراطورية الفرس لا يعد مهما بالنسبة للجماهير الشعبية، فقد تلى نير الإمبراطورية الفارسية المتهرئ استغلال أقسى مارسه المحتلون[٣١٦].

كان لقيام الاسكندر بتشييد عددا من المدن الجديدة في الشرق ذا نتائج مهمة في طراز المدينة الشرقية، ويمكن أن نوضح الفرق الكامن بين المدن الشرقية القديمة، والمدن الجديدة التي أنشأها الاسكندر. ففي المدن القديمة فضل المخططون القدماء وضع مناطق القصور، والمعابد، والمراكز الإدارية، والشوارع الرئيسة، على خطوط مستقيمة، وترك أجزائها الأخرى في شبه فوضى وارتباك فحصل نتيجة لذلك تطور عفوي عشوائي، غير منتظم يتميز بشوارع ضيقة، وأزقة ومناطق سكنى مزدحمة. وقد استمرت بعض المدن كبابل وأشور بهذا الشكل بعد غزو الاسكندر حيث أغلق قسم من شوارعها، ولذلك لم يعد هناك نظام أو ترتيب للسكنى[٣١٧]. لكن الاسكندر قد فهم أهمية المدن من نواحي متعددة تشمل الإدارية والاقتصادية والأكثر أهمية السوقية. وقد شجع الاسكندر تأسيس المدن الإغريقية في الشرق، وهي سياسة اتبعها أبوه عند غزوه تراقيا، لغرض السيطرة على مركزية الإدارة. وفي الوقت الذي كانت فيه المدن الشرقية القديمة تبنى بشكل غير منتظم، فإن المدن الجديدة شيدت حسب التخطيط المنظم الهيبوديمي(Hippodamian)الذي تميز بشوارع مستقيمة متقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة. ومصمم هذا التخطيط المنظم أو الذي في

---

٣١٥) كوردن تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ترجمة:حسين مؤنس،(القاهرة:بلا.مط،١٩٥٦)،ص٢٣٦-٢٣٧؛انظر كذلك:دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧.

٣١٦) دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٧-٣٩٨.

٣١٧) ألصالحي،"المدينة،ص٣٤٩-٣٥٠.

بعض الأحيان يسمى بالتخطيط حسب رقعة الشطرنج، هو ايوني إغريقي من مدينة مليتوس في أسيا الصغرى الذي أعاد بناء مدينته في عام ٤٧٩ قبل الميلاد بعد أن دمرها الفرس حسب تخطيط منتظم اشتهر باسمه .وقد اتبع هذا التخطيط في العديد من المدن الإغريقية والرومانية مثل: بيرايوس ميناء أثينا في نحو منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، ومدينة ثوري(Thurii) في عام ٤٤٣ قبل الميلاد. وقد اتبع الاسكندر هذا التخطيط لأنه يلبي الاحتياجات العملية للمستعمرات والمدن الإغريقية. ويتم تشييد المدن عن طريق تخصيص الأراضي لمواقع الأبنية مسبقا وحسب الأهمية، فللاغورا (Agora) التي هي نواة ومركز حياة المدينة، خصص عدد من الوحدات المربعة أو المستطيلة والتي ضمت معابد المدينة، وأسواقها التجارية، ومراكز لتجمعاتها السياسية، وتميزت الشوارع بعرض واسع نسبيا، وقسم منها رصف بالحصى الناعم، وقسمت أراضيها المخصصة للسكنى إلى وحدات سكنية، ثم وزعت على المواطنين بالتساوي[٣١٨].وان هذه المدن كانت تشبه المدن المعاصرة لها في بلاد اليونان بما تمتعت به من وسائل الحياة التي لابد منها في المدينة الكلاسيكية، من الاغورا، والمسرح، والمباني الرسمية، والمدارس، والينابيع العامة. وكان يقطنها جماعات من الموظفين، والتجار، وأصحاب المصارف، والصناع، والمزارعين، الذين يعملون في الصناعات والفنون حسب الأسلوب اليوناني، ويعبدون آلهة يونانية، وكانوا جميعهم من الإغريق أو من المتأثرين بالهلينية. من جانب أخر فان المدن الشرقية القديمة، وكل ما يبعث فيها النشاط من: تجارة، وصناعة وطنية، وديانة، وعلوم، وقوانين، ومؤسسات لم تصب بأي ضرر[٣١٩].

---

٣١٨) المصدر نفسه،ص٣٥٠-٣٥١.

٣١٩) تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ص٢٣٨.

من هذا يتضح إن تشييد المدن الجديدة قد افرز نمطين من الحياة الأولى: خاصة بالمدن الشرقية القديمة التقليدية، وأخر: خاصا بالمدن الجديدة.

بكل الأحوال هذا لا يعني إن التجديد، والتطوير في مفهوم المدينة ارتبط بالإغريق الوافدين. فالمعروف إن البابليين والأشوريين أول من بنى المدينة بشوارع مستقيمة متقاطعة قائمة. فالملك الاشوري سنحاريب(٧٠٥-٦٨١ قبل الميلاد) عندما أعاد تشييد مدينة نينوى اعتنى بالطريق المؤدي إلى القصر الجديد، فقد قام بتوسيع الشوارع الموجودة ليعمل طريقا ملكيا عرضه أكثر من تسعين قدما، يتألف من طريق مرتفع من ألواح الحجر الكلسي[٣٢٠].وفي مدينة بابل نجد أنها تتألف من ثمانية شوارع عريضة يؤدي كل منها إلى أبواب المدينة، وتنظم إليها الشوارع الضيقة، والأزقة، والمنعطفات المسدودة غير النافذة بالبيوت السكنية الخاصة، وهي بالطبع لم تكن تبدو جميلة بهذه الدرجة كالشوارع، وغير مبلطة بالحجارة ولكنها بقيت بحالة نظيفة ومرتبة، وبما إن أرضية المدينة عبارة عن طبقة زراعية سميكة لذا كانت أرضية الشوارع مغطاة بخليط من خامات الأجر المكسرة والنفايات والرماد والأوعية الخزفية المكسرة المدكوكة بإحكام[٣٢١].رغم إن المدن الشرقية لم تصل إلى مستوى المدن الجديدة من حيث التخطيط إلا إن المخططين الشرقيين تمكنوا من التوصل إلى مفاهيم مهمة في تخطيط المدن، من ضمنها ظهور الشوارع المستقيمة.

من النتائج الأخرى لغزو الاسكندر للشرق انه نفسه كما يبدو قد وقع تحت سطوة المؤثرات الشرقية، وربما كان تعيين مازيوس كأول فارسي يتولى منصب إداري في إمبراطوريته له مغزاه، فقد كانت تعاليم أستاذه أرسطو له تقضي بعدم صلاحية البرابرة(المقصود بهم هنا الشرقيين) بطبيعتهم للحكم

---

٣٢٠) ساكز،قوة أشور،ص٢٧٤.

٣٢١) ف.أ.بليافسكي،أسرار بابل،ترجمة:توفيق فائق نصار،(دمشق:دار علاء الدين،٢٠٠٧)،ص١٥٧.

واعتبارهم غير أهل له، فأراد الاسكندر أن يرى مدى صلاحية ذلك، وكان أرسطو قد علمه إن أولئك البرابرة لابد من معاملتهم كما يعامل العبيد، ولكن الاسكندر قد أدرك إن معلمه أرسطو ليس مصيبا في هذا الشأن. فالإسكندر كانت قد بهرته الحضارات الخالدة التي كانت عليها مصر وبابل[٣٢٢].وسرعان ما اخذ الاسكندر يميل للشرق، ويقع تحت تأثيره فعين الفرس في المناصب الإدارية، والجيش، واظهر اهتماما متزايدا بالفرس بعد موت داريوس فدعم الارستقراطية الفارسية، واقتبس العادات الفارسية منها: الظهور بالملابس الفارسية في مناسبات معينة، والمشاركة في الاحتفالات الفارسية، ومتخذا مراسيم البلاط الفارسي، فضلا عن ذلك فقد اتخذ عادة السجود له وهي عادة فارسية، وكان بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك أن يؤدوها. وكان هذا الإجراء بالنسبة للفرس، أمرا اقتضته الشعائر الرسمية، فلملوك الأخمينيون ليسوا بآلهة، وليس السجود بنظر الفرس ما يتضمن عبادة، ولكنه في نظر اليونانيين والمقدونيين كان ينطوي على عبادة حقة، وما كان الإنسان ليسجد إلا للآلهة، وكان الاسكندر على بينة تامة من الكيفية التي لابد أن يفسر بها ذلك السجود. وبناء على ذلك فهو لابد كان يبغي أن يصبح إلها، وفي الواقع إن المقدونيون لم يبدو معارضة فعالة من هذه العادة، ولكن استياءهم، بل غضبهم كان جليا. ويمكن أن ننظر إلى هذا الاستياء ليس بسبب مسألة السجود للملك فقط، بل تذمر من كل سياسته الشرقية تلك السياسة التي جوبهت بشدة من قبل جنده المقدونيين، وقد قتل الاسكندر فيما بعد كليتوس الصديق المقرب إليه عندما أعلن احتجاجه على سياسته الشرقية، ودعم الفرس، وعيره بأنه ابن أمون، وليس ابنا لأبيه[٣٢٣].وقد واجه الاسكندر مصاعب اشد عندما اخذ بالاستعداد لدفع

---

٣٢٢) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٩٧-٩٨.

٣٢٣) تارن،الاسكندر الأكبر،ص١٣٠-١٣٢؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص١٩-٢٠؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج٢،ص٣٩٦.

مكافآت إلى المتقدمين في السن من جنده المقدونيين المتمرسين في القتال، بغية صرفهم من الخدمة وإعادتهم إلى بلادهم، واستبدالهم بالشبان الفرس الذين كان قد مضى عليهم خمس سنوات من بدء تجنيدهم عام ٣٣٠قبل الميلاد، وكانوا يتدربون على فنون القتال، ويقومون بمهمات الجنود في حراسة المعسكرات وحماية الحصون والقلاع. وقد خشي الجنود المقدونيون من إنهم إذا نفذ الاسكندر خطته هذه، سيكون عددهم ثلث عدد الجنود في الجيش النظامي كله، فيصبح بإمكان الاسكندر أن يستغني عنهم متى شاء. ولهذا فقد اغضب ذلك الجند المقدونيون وأعلنوا جميعا: "اتركنا نرجع بأجمعنا إلى بلادنا، وابق أنت وحدك وحارب معاركك بمن معك من الفرس، ومعك أبوك أمون". ولكن عندما عزم الاسكندر على تنفيذ ما هدد به الجند، وأراد إعادتهم جميعا إلى بلادهم، انهوا الإضراب فكان له ما أراد[٣٢٤].ويبدو إن الاعتراضات التي جوبه بها الاسكندر ليس فقط لتزايد النفوذ الشرقي لدى الاسكندر وحسب، بل ربما ترتبط بنظرة اليونانيين إلى الشرقيين بشكل عام. فالعالم اليوناني كان ينظر إلى الشعوب الشرقية على إنهم من البرابرة، ولاسيما الفرس الذين احتكوا بهم كثيرا في السابق، ففي القرن الرابع قبل الميلاد وفي وقت حملة الاسكندر على الشرق كانت الأفكار السائدة عن الشرق بشكل عام في العالم اليوناني سلبية بشكل واضح، فلم يرق لليونانيين أن يعمد البرابرة مثلا وهم سلالات دنيا لا تعرف القانون إلى مهاجمة بلادهم. ولكن الرأي السديد في ذلك العصر لم يجد مانعا يحول دون أن يهاجم اليونانيون البرابرة متى شاءوا ذلك؛ فأفلاطون يقول إن البرابرة جميعا أعداء بالسليقة، وانه من اللائق أن يشن اليونانيون الحرب عليهم، ولو أدى الأمر إلى استرقاقهم أو إبادتهم، كما سماهم ايسوقراط أعداء طبيعيون، وحض بشدة على خوض مثل هذه الحروب عليهم. أما أرسطو فيعد هذه الحرب عادلة

---

[٣٢٤]) برن،تاريخ اليونان،ص٤٣٨؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص٢٢-٢٣.

وطبيعية، ونصح تلميذه الاسكندر بان يعامل البرابرة على إنهم رقيق، وهذا هو وصفهم الطبيعي(٣٢٥).فإذا ما عرفنا كيف ينظر العالم اليوناني للعالم الشرقي يمكن أن نفهم جانبا مهما من الاعتراضات التي واجهتها السياسة الشرقية للإسكندر.

إن حملات الاسكندر المقدوني على الشرق، وظهور المؤثرات الهلينية لم يمح بشكل مؤكد العادات، والتقاليد السائد في البلدان الشرقية، والتي استمرت لآلاف السنين، وقد تسربت أخبار تقاليد العالم الشرقي للمدونات الإغريقية، وان كانت بشكل مشوه، ولكن تخفي وراءه عادات وطقوس قديمة ما زالت موجود ليس عند دخول الاسكندر بابل، بل حتى إلى قرون متأخرة في عصر بلوتارك الذي يروي قصة عن الاسكندر في بابل تقول: "في ذات يوم بعد أن خلع الاسكندر ملابسه لمسح جسده بالزيت، وكان يلعب بكرة، وقبل أن يجلبوا ملابسه شاهد الشبان الذين كانوا يلاعبونه رجلا مرتديا أردية الملك وواضعا تاجا على رأسه يجلس صامتا على كرسي العرش. وسألوه من يكون؟ فلم يرد، وأخيرا ابلغهم إن اسمه ديونيسيوس وانه مسينيا، وانه جلب إلى هنا من شاطئ البحر بسبب جريمة اتهم بارتكابها، ووضع في السجن زمنا طويلا وان سيرابيس ظهر له وحرر من قيوده، وقاده إلى هذا المكان، وأمره أن يرتدي رداء الملك وتاجه، ويجلس حيث وجدوه ولا يقول شيئا. وعندما سمع الاسكندر ذلك أمر بقتل الرجل وفقا لمشورة عرافية، غير انه فقد حيويته وثقته بحماية الآلهة ومساعدتهم، وأصبح يشك بأصدقائه"(٣٢٦)إن من الواضح إن ما رواه بلوتارك كان من طقوس بلاد ما بين النهرين القديمة الخاصة بتنصيب الملك البديل، وهو تقليد يبدو ما يزال حيا في وقت دخول الاسكندر إلى بابل(٣٢٧).

٣٢٥) تارن،الاسكندر الأكبر،ص٣٢.

٣٢٦) اوتس،بابل،ص٢١٢-٢١٣.

٣٢٧) المصدر نفسه،ص٢١٣.

المحتويات

Research in the history of the ancient Near East

By:
Dr. Usama Adnan Yahiya

Assistant professor of ancient history at
College of Arts / University of Mustansiriya